

المرجعية وأثرها في بناء الإنسان

اعمال

المؤتمر العلمي الدولي الثامن عشر

الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

ودائرة العتبات المقدسة والمزارات الشريفة

برعاية العتبة العلوية المقدسة

لسنة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

الجزء الثامن

المحور الأخلاقي والتاريخي وعواصم المرجعية

اعداد و اشراف

أ.د. عدي جواد الحجار

فهرس البحوث

الصفحة	اسم البحث	اسم الباحث	ت
١	أثر سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في تركيز البعد الإنساني لتوجيهات ونصائح السيد السيستاني للمقاتلين	أ.م.د محمد حسين عبود م.د عمار محمد حسين	١
٢٩	المرجعية ودورها القيادي في السلوكيات الاخلاقية التربوية (المرجع الشيرازي نموذجا)	أ.م.د. هدى محمد سلمان	٢
٥٩	معالم الإصلاح المجتمعي في استراتيجية المرجعية الشيعية	أ.م.د عدنان عباس يوسف البطاط م.د شاكر عطية ضويحي الساعدي	٣
٨٣	مدرسة النجف الفقهية و العرفان الاخلاقي	م.د بتول فاروق الحسون	٤
١١٤	دور القرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة خطابات المرجعية الدينية -سنة الإبتلاء الإلهي أنموذجا-	م.م محمد علي عبود المرعي	٥
١٣٥	المرجعية الدينية منهجية الإسلام الأصيل	م. حيدر محمد هناء الشلاه	٦

((أثر سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) في تركيز البعد الإنساني

لتوجيهات ونصائح السيد السيستاني للمقاتلين))

أ.م.د محمد حسين عبود

م.دعمارمحمدحسين

جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله الطيبين

الطاهرين...وبعد.....

فإن القرآن الكريم وإن كان عربي العبارة، غير أنه عالمي الدلالة، وهو كتاب

لم ينزل الى قوم دون قوم، ولا الى عصر دون آخر، ولا اختص بمكان معين ،

فهو كتاب السماء للعالم أجمع.

من هنا كانت أحكامه ذات بعد إنساني، فضلا عن بعدها الشرعي، وتحدثنا

كتب السير عن السمة الإنسانية المستلهمة من ذلكم الفيض الإلهي المتجسد في

القرآن الكريم، التي تجسدت بشكل سلوك أنساني راق تمثل في تعامل سول

الرحمة (صلى الله عليه وآله) وخليفته أمير المؤمنين(عليهم السلام) مع غير

المسلمين، فضلا عن المسلمين، من غير فرق بين السلم والحرب.

ولقد كانت سيرة سيد الأوصياء (عليه السلام) حاكية عن تلكم الخصال الإنسانية العالية التي كان يتعامل بها مع أعداء الإسلام، من الرحمة والعفو والصفح والتسامح، وغيرها من الصفات التي منحت العدل ووهبت الرحمة ونشرت الإنسانية في أرجاء المعمورة، مع أنهم كان منهم الخارجون والمارقون والقاسطون، ممن قويت شوكتهم وعلا سنامهم في زمنه (عليه السلام)؛ بسبب تقاعس الأمة عن أداء دورها في نصرة الحق وخذلان الباطل.

غير أن ذلك لم يكن ليمنعه (عليه السلام) من الإنصاف معهم والعدل مع أمثالهم، ومعاملتهم بإنسانية سامية، سجلت أرقى الصور في صفحات التاريخ، ولم يكن ليثمر في نفوسهم، فيوقف طغيانهم وعدوانهم، وقد استلهم مراجع الامامية وفقهائهم من تلك الصور ما جسده في تفعيل الجانب الإنساني، وتبني خطاب الإعتدال والرحمة مع أعداء الدين، لاسيما الذين غرربهم.

وما توجيهات السيد السيستاني للمقاتلين، وهم يخوضون حربا ضروسا ضد التكفريين والإرهابيين، إلا مثالا حيا وأنموذجا ميدانيا على النزعة الإنسانية التي نزعنا إليها التوجيهات وفزعت إليها القلوب الحية.

أن تلكم التوجيهات تعكس بشكل جلي، تلك النسمات المحمدية واللطائف العلوية، التي رسمت خارطة طريق للمجاهدين في سبيل الله، تعرب عن سماحة

الإسلام وعظمة الشريعة، في زمن ساد فيه منطلق القوة، وشاعت فيه شريعة الغاب.

إن توجيهات السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) قطعت الطريق على خطة التكفيريين دعاة الدين وأرباب الفتنة وطلاب التفرقة وبناة التعصب، القائمة على خطف الدين من أهله، وتقديم أنفسهم على أنهم الناطقون باسم الإسلام والمحامين عن حياضه، وأرجعت الأمور إلى نصابها، وكان من ثمراتها، ذلك الحشد المبارك الذي أوقف المد التكفيري الإرهابي، وبدأ بفضل تلك الفتوى المباركة في الجهاد الكفائي، تحرير المحافظات العراقية المغتصبة من سيطرة داعش، وتقديم النماذج الإنسانية الرائعة للعالم، من التعامل مع أعداء الدين، والمنضمين لكيان داعش الإرهابي، من المغرر بهم.

والحق إن التوجيهات والنصائح من المرجعية العليا، كانت منهاج عمل وسبيل مبين للمجاهدين، وهم يزودون عن بيضة الإسلام، وحمى الشريعة الغراء وحدود الوطن وكرامة الإنسان، وقد اقتضى عقد البحث أن ينفرط في مبحثين، تناول المبحث الأول حياة السيد السيستاني، في جملة مطالب، فيما كان المبحث الثاني في الحضور العملي والميداني لسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في البعد الإنساني لتوجيهات ونصائح السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف)، وكذا كان في مطالب عدة، تتبعها خاتمة ونتائج، ثم مصادر البحث التي اعتمد عليها الباحث

في كتابة هذا البحث، داعياً المولى سبحانه أن يحفظ سماحة السيد بحفظه المنيع وأن يسدد حشدنا وجيشنا ويشفي جرحانا ويرجع جنودنا سالمين غانمين منصورين، إنه ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المبحث الأول: حياة السيد السيستاني:

يتطلب الوقوف على حياة السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) مباحث عدة، قد لا تفي حق رجل ادخره المولى سبحانه وتعالى، ليكون - اليوم - أحوج ما يكون عالمنا الإسلامي عموماً وعراقنا على الخصوص، لوجوده المبارك، فهو صمام أمان العراق ورمز الوحدة الوطنية، وصاحب الفتوى العظيمة، التي حفظت ارض وعرض العراقيين وكرامة العراق ومقدساته، غير أن الباحث سيحاول أن يحيط بأطراف المبحث، ويجمع السيرة الذاتية للسيد السيستاني (دام ظلّه الوارف)، عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: ولادته ونسبه:

ولد السيد السيستاني في التاسع عشر من شهر ربيع الثاني عام (١٣٤٩هـ) الموافق ١٩٣٠م في مشهد المقدسة^(١)، من عائلة علوية ترجع أصولها الى أصفهان والدين طيبين طاهرين، فوالده هو السيد محمد باقر السيستاني، من علماء وفضلاء مدينة مشهد المقدسة، وقد شغل مقام جده في ترويج معالم الدين وتعاليم الشريعة حتى رحيله الى الرفيق الأعلى عام (١٣٧٠هـ) ^(٢) ^(٣). والسيد السيستاني هو السيد علي ابن السيد باقر ابن السيد علي ابن السيد محمد رضا الحسيني الغروي، ينتهي نسبه الى الإمام الحسين (عليه السلام) ((فهو غصن من أغصان هذه الروضة الطاهرة وفرع من فروع هذه الشجرة الباسقة الوارفة الضلال)) ^(٤).

وقد اشتهر السيد السيستاني بهذا اللقب نسبة الى سيستان من بلاد ايران ، اتخذها أجداده موطناً لهم ، فجدّه الأعلى هو السيد محمد الذي تسنم منصب شيخ الاسلام في عهد السلطان حسين الصفوي ، أما جده الاقرب فهو آية علي بن محمد رضا السيستاني ، وهو من كبار علماء مشهد المقدسة^(٢).

انتقل السيد عبر حوزات العلم المختلفة حتى استقر به المقام عام (١٣٧١ هـ) في النجف الأشرف ، واتخذها موطناً علمياً وجغرافياً ، وها هو السيد السيستاني اليوم يتربع على هرم المرجعية الدينية في النجف والعالم الشيعي في انحاء المعمورة ، يتقاسم الأدوار العلمية والروحية مع مراجع الدين ، المنتشرين في بقاع الارض المختلفة.

المطلب الثاني : أساتذة وشيوخ السيد السيستاني :

ما إن استمر المقام بالسيد السيستاني في النجف الأشرف ، حتى بدأ بحوثه في أعلى المستويات العلمية ، عند كبار فقهاء الحوزة الشريفة ، أمثال السيد محسن الحكيم (ت ١٣٧٩ هـ) والشيخ حسين الحلي (ت ١٣٧٩ هـ)^(٣) والسيد الشاهرودي (ت ١٣٩٠ هـ) وقد تتلمذ السيد السيستاني على يد السيد الخوئي (ت ١٣١٣ هـ) ، وحضر درسه لأكثر من عشر سنوات^(٤).

لقد كان السيد (دام ظله) من الطلبة المبرزين في حلقات البحث الخارج ، وقد كانت حصيلة جهوده وتفانيه في مواكبة الدرس ، هو حصوله على إجازات الإجتهد من قبل الشيخ الحلي والسيد الخوئي ، اللذين يؤكدان على جداته وأهليته لملكته الإجتهد ومقدرته الكاملة على الإفتاء.

ومما تجدر الإشارة اليه أن السيد السيستاني (دام ظله الوارف) من القلائل الذي حضوا باجازة الإجتهد من بين ستمائة طالب تتلمذوا على السيد الخوئي ، كما كتب

الشيخ آقا بزرك الطهراني (١٣٨٩هـ) الذي شيخ المحدثين — آنذاك — شهادة ثالثة

يطري فيها على مهارة السيد السيستاني في علمي الرجال والحديث.

وبذا يكون السيد (دام ظلّه) أحد مراجع الدين، الذين برز نجمه شيئاً فشيئاً حتى سطع في سماء العلم والمعرفة، يقصده طلاب الحوزة من أصقاع المعمرة، للإرتشاف من نمير علمه ورفيع أخلاقه وعظيم سماته.

المطلب الثالث: تلامذة السيد السيستاني:

شرع السيد (دام ظلّه الوارف) في عام (١٣٨١هـ)، (بتدريس بحثه الخارج في الفقه على ضوء كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري)^(٢)، الذي من أهم المراجع العلمية، وأهم كتب الدراسة في الحوزة، وانه لا بد لكل مجتهد من المرور بمواضيع هذا الكتاب، وتحليل عبارته الفقهية المعقدة^(١)، كما بدأ بحثه الخارج في (الأصول) في شعبان (١٣٨٤هـ)، وأكمل دورته الثالثة في شعبان من عام (١٤١١هـ)^(٢).

أما نتاجه الفقهي فقد تراوح — في هذه الأعوام — بين كتاب القضاء وأبحاث الربا وقاعدة الإلزام، كما أن له محاضرات في علم الرجال، تكشف عن عميق معرفته وواسع اطلاعه بهذا العلم، وقد انبرى غير واحد من العلماء بإخراج بحثه، وتقرير محاضراته الفقهي والأصولية، منهم على — سبيل المثال لا الحصر — الشيخ مهدي مرواريد والسيد حبيب حسينيان والسيد أحمد المددي وغيرهم.

إن من أهم عوامل الجذب لدى طلبة الحوزة، هو حلقة درس السيد (دام ظلّه)؛ كونها تضم المشاكسات العلمية والمضاربات الفقهية، التي أفضت الى وجود عدد غفير من تلامذته وطلابه ومنهم:

١ — السيد محمد صادق الخرسان

٢ — الشيخ علاء الدين الواعظ

٣- السيد محسن البهشتي.

٤- السيد محسن الهاشمي.

٥- السيد محمد هادي الخрсان.

٦- السيد محمد الغروي.

٧- السيد محمد رضا السيستاني.

٨- السيد محمد باقر السيستاني.

٩- السيد محمد رضا السيستاني.

١٠- الشيخ عباس كاشف الغطاء^(١)، وغيرهم كثير.

المطلب الرابع: عطائه العلمي:

اشتهرت الحوزة العلمية في العالم عموماً وفي النجف الأشرف على الخصوص، بالاستقلال السياسي والإقتصادي على حد سواء، وهذا ما منحها القوة والمنعة والديمومة والإستمرار، على مدى مئات السنوات، على الرغم مما تعرضت له من الهزاهز والتحديات من قبل الحكومات الجائرة، على مر التاريخ. ولذلك مدخلية في أن تتوزع إنجازات المراجع الحوزة على نحوين: إنجازات علمية وإنجازات عملية.

أما إنجازات السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف)، فإنه يمكن أن تكون - حسب تقدير الباحث على ثلاثة اتجاهات:

الإتجاه الأول : الإنجازات العلمية^(٢): هو طائفة من المخطوطات والمؤلفات الفقهية والأصولية ما بين كتب ورسائل منها:

١- المسائل المنتخبة.

٢- مناسك الحج.

٣- البحوث الأصولية (دورة كاملة).

٤- كتاب القضاء.

٥- كتاب البيع والخيارات.

٦- الفوائد الغروية، وغيرها كثير.

أما الرسائل : فهي كثيرة أيضا، غير أن منها:

١- رسالة في قاعدة اليد.

٢- رسالة في صلاة السفر.

٣- رسالة في قاعدة التجاوز والفراغ.

٤- رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

٥- رسالة في القبلة.

٦- رسالة في التقية، وغيرها كثير.

الاتجاه الثاني: الإنجازات العملية:

لقد اقتفى السيد السيستاني أثر أستاذه السيد الخوئي ، في تبني العمل المؤسساتي ، من خلال إقامة المؤسسات والمراكز العلمية المتناثرة في أرجاء العالم، التي سعت الى نشر تعاليم الشريعة السمحاء، من خلال الإجابة على الأسئلة الفقهية وعقد الندوات القرآنية، وما الى ذلك، وهي:

١- مكاتب التبليغ: التي تنحصر مهامها في إيضاح المبلغين^(١)، لأحياء الشعائر الإسلامية، وممارسة أنواع الأنشطة الثقافية.

٢- المراكز العلمية وإحياء التراث: وهي المراكز التي تعتني بالقرآن وعلومه، وإقامة الدورات وعقد الندوات، وتناول الأبحاث العقائدية، والكشف عن نوادر المخطوطات ومنها:

١- مركز آل البيت (عليهم السلام) العالمي.

٢- مركز إحياء التراث الإسلامي.

٣- مؤسسة الإمام علي (عليه السلام).

٤- مركز الأبحاث العقائدية.

٥- مركز الإمام الرضا (عليه السلام) المعلوماتي، وغيرها.

الاتجاه الثالث: الإنجازات الإنسانية: ويقصد بها الباحث، المواقف الوطنية التي حفظت العراق، وحققت دماء العراقيين ورعت حقوقهم، ودفعت أسباب الشر ومخططات الإحتلال، ومنها:

١- دعوته لكتابة الدستور، بعد سقوط الطاغية عام (٢٠٠٣)، وإصراره على أن تكون كتابته من قبل ممثلي الشعب، عن طريق الانتخابات العامة^(٢)، وقد تم ذلك، رغم ما قامت بعض القوى السياسية، من محاولة تكوين نوع من أنواع المجالس التي تقوم بكتابة الدستور، وقد حفظ السيد (دام ظله) بذلك مصلحة الشعب وحقوقه في كتابة الدستور الدائم للبلاد.

٢- سعي السيد من خلال البيانات الصادرة عن مكتبه، الى تحديد نوع السلطة في نظام الحكم، عن طريق الإرادة العراقية وألية ذلك — حسب توجيهه — هو الانتخابات العامة، وقد تمت إرادة السيد فعلا بإقامة الانتخابات العامة في العراق، بعد عقود من الزمن، رزح فيها العراق تحت ظل الديكتاتورية.

٣- وقوف السيد — بقوة وحزم — بوجه الفتنة الطائفية، التي كانت من أبرز الخيارات لأعداء العراق في تمزيق الصف العراقي، وكانت بياناته (دام ظله) الدواء الناجع لسرطان الطائفية، حين قال: ((تمر الأمة الإسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى، وتحديات هائلة تمس حاضرها وتهدد مستقبلها، ويدرك الجميع

والحال هذه مدى الحاجة الى رص الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية، والتجنب عن إثارة الخلافات المذهبية.....الخ)) (١)، وواد السيد بذلك شبح الفتنة، وحفظ النسيج العراقي من التشرذم والتمزق.

٤— حماية السيد (دام ظلّه) للعراق من الغزو الداعشي، حينما غزا العراق الدواعش في عام ٢٠١٤، وانطلاق الفتوى التاريخية في الجهاد الكفائي، في حزيران من نفس العام، التي كان لها أبلغ الأثر في تسابق مئات الآلاف من العراقيين، للتطوع من أجل حماية العراق، وما تبعها من نصائح وتوجيهات للمقاتلين والمجاهدين.

وقد حررت تلك الفتوى المحافظات العراقية التي كانت محتلة من قبل التكفريين الدواعش، محافظة بعد محافظة، وهما هو العراق اليوم يشرف اليوم على تحرير ما تبقى من محافظة الموصل الحدباء ببركة تلك الفتوى التاريخية المباركة.

المبحث الثاني: سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) والبعد الإنساني في التوجيهات والنصائح للمقاتلين:

يستلزم التعرض للبعد الإنساني لتوجيهات ونصائح السيد السيستاني والحضور العملي لسيرة أمة المؤمنين (عليه السلام) الوقوف على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم البعد الإنساني في توجيهات السيد السيستاني:

أراد الباحث بهذا المطلب، بيان الحالات الإنسانية التي ركزت عليها ووضحتها التوجيهات والنصائح المباركة، التي وجهها السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) للمقاتلين، وما احتوت عليه من معاني الرأفة والرحمة والصفح والتسامح والبر والخير، ونحوها من النماذج الإنسانية العالية التي تضمنتها، التي أسفرت عن الوجه الناصع والوضاء لتعاليم الشريعة السمحاء، واستمدت رحمتها من رحمة الباري سبحانه وتعالى القائل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رءِيمٌ ﴾ سورة الحج/٦٥، ورحمة

نبيه(صلى الله عليه وآله)، الذي وصفه رب الرحمة سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ سورة الأنبياء/١٠٧.

إن التوجيهات المباركة عكست الرؤى الإنسانية، للمرجعية العليا التي تمثل قطب الرحى في المؤسسة الدينية، التي حاولت التنظيمات الإرهابية التكفيرية من الدواعش ونظائرهم، اختطاف خطابها الشرعي، فانبرى السيد السيستاني — بفتواه التاريخية — وما عقبها من تلكم التوجيهات المباركة، في إرجاع الأمور الى نصابها، وإيعاد الثقة بالدين وبأهله وبخطابه .

إن الجوانب الإنسانية التي احتوتها التوجيهات والنصائح المباركة، بينت مكانة الإنسان وأكدت حقيقة أنه له المقام الأول في عمليات الجهاد والدفاع عن الأرض وتحريرها، وأن دمه وماله وعرضه أهم مما سواها، كما أنها — التوجيهات — هدمت الحواجز الطائفية والدينية والقومية، واجهزت خطط الأعداء، في تمزيق الصف العراقي، ونشر أسباب الطائفية بين العراقيين.

لقد سعت المرجعية الدينية، من خلال هذه التوجيهات الى تركيز أبحاثها لجميع العراقيين، من دون استثناء أو فرق، وان انتمائها للعراق لا يقل عن انتمائها للدين أو المذهب .

فالمقصود بالبعد الإنساني إذن هو تلك الصور والمعطيات الإنسانية، التي سعت التوجيهات والنصائح الى تجذيرها في نفوس المقاتلين والمجاهدين، وجعلتها برامج عمل يسيرون بها ويطبّقونها ميدانياً، مستذكرين ومذكرين، بالصفحات المشرقة من سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) في حروبه مع أعداء الإسلام، وما احتوت عليه من الأمثلة الإنسانية الراقية، التي جسدت تعاليم السماء وأخلاق الأنبياء في بثر روح التسامح والتوادد والتعاطف.

إن أجواء الحروب غالباً ما يسودها العنف والقوة، ولا تجد في عقل القائد سوى التفكير بالنصر والغلبة، فتتصاعد معه هواجس الإنتقام والثأر، وتتضائل معها مشاعر الرحمة والرأفة، غير أن الأمر يختلف مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث ينقل لنا التاريخ ألواناً متألفة، — تبعث على الإعزاز والفخر، من التعامل الميداني العسكري — إن صح التعبير — له (عليه السلام)، وهو يقاتل أعداء الله في سوح الحرب، وقد تضمنت التوجيهات المباركة للسيد السيستاني نماذج كثيرة من الأحاديث والروايات، التي تبين السيرة الميدانية للإمام علي (عليه السلام)، والتطبيق العملي لهذا التعامل الإنساني .

وانطلاقاً من ذلك فإنه يمكن إجمال البعد الإنساني لتلك التوجيهات من خلال المطالب الآتية:

المطلب الثاني: البعد الإنساني مع غير المسلمين :

لقد تجسد البعد الإنساني مع غير المسلمين عبر النصائح والتوجيهات، التي اعتمدت سيرة سيد الأوصياء (عليه السلام) خارطة الطريق، والذي يمكن إجماله في النقاط الآتية:

أولاً — ما استشهد به السيد (دام ظلّه الوارف) كما في الفقرة رقم (٢) من التوجيهات، وهو بصدد التحدث عن الآداب العامة للجهاد، بعد أن مهد لها في الفقرة رقم (١)، حيث يقول: ((فللجهاد آداب عامة لا بد من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) يوصي بها أصحابه قبل أن يبعثهم إلى القتال، فقد صح عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد أن يبعث بسرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا

تغدروا، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا صبيا ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها))^(١) (٢).

ويمكن القول أن السيد أراد في توجيهات هذه الفقرة الإشارة الى أمور هي:
— أن للجهاد آدابا عامة، ولا يخفى ما في قوله (آدابا عامة)، من إشارة واضحة على أن تلك الآداب في حقيقتها قوانين ثابتة مسلم بها ومفروغ منها، وأنها من ثوابت الجهاد التي لا يتسنى للمجاهدين التنازل أو التراجع عنها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السيد في مقام التعريف بعظمة الإسلام من خلال التعريف بمكانة الإنسان في ظل أحكام الجهاد.

ب — تأكيد على ضرورة وأهمية مراعاة هذه الآداب (حتى مع غير المسلمين)، وهو ما يسفر عن الجانب الإنساني والأخلاقي للأحكام الإسلامية، كما أنه يكشف عن العناية الاهتمام بغير المسلمين كالنصارى والأزيديين الساكنين في الموصل، الذين تعرضوا للقتل والتهجير وأنواع الإقصاء والتهميش.

إن السيد — في الواقع — أراد من خلال هذه الآداب، إيصال رسالة واضحة الى غير المسلمين — عن سماحة الإسلام — الذين ربما قد انعقدت أذهانهم على صورة مشوهة عن الإسلام، بعد ما تعرضوا له على يد المدعين للإسلام من الدواعش وغيرهم، من أنواع التصفية البشرية والعرقية.

ت — تصديق وتوثيق هذه الآداب، من خلال الاستشهاد بالحديث المروي عن الإمام الصادق(عليه السلام)، الذي بين بنحو عملي آداب الجهاد من خلال وصايا الرسول(صلى الله عليه وآله)، للمقاتلين في سبيل الله، وهو ما يعطيها — الآداب — بعدا شرعيا ملزما، لكل من أراد أن يقاتل في سبيل الله سبحانه وتعالى، الأمر الذي يؤكد مرة أخرى حقيقة الدين، وما انطوت عليه من آداب وأخلاق.

ث — وجوب الإبتعاد عن إيذاء الشيخ أو الصبي أو المرأة، بغض النظر عن خلفيتهم الدينية أو العقائدية، بل حتى الجماد كالشجر ونحوه، لا سبيل لقطعه إلا عند الضرورة.

من هنا يتضح التعامل الإنساني الذي يمليه الدين، والذي دعا اليه وأكد عليه السيد السيستاني(دام ظلّه الوارف).

ثانياً ذكر السيد(دام ظلّه)في الفقرة(٢):((فالله الله في النفوس، فلا يُستحلن التعرض لها بغير ما أحله الله تعالى في حال من الأحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنه بوقايتها وإحيائها.....))^(١)، والسيد بصدد بيان مكانة النفوس الإنسانية مطلقاً، وحرمة التعرض لها والتجاوز عليها بغير ما أحل الله، ثم أنه يستشهد بعهد أمير المؤمنين(عليه السلام) مالك الأشتر(رض)، تلك الوثيقة الإنسانية النابضة بالرأفة والرحمة، حين يقول(عليه السلام): ((إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء ادعى لنقمة وأعظم لتبعة، ولا أخرى بزوال نعمته وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدأ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة لان فيه قود البدن))^(٢)، والعهد أيضاً يركز على الجانب الإنساني، ويلفت الأنظار، الى عظيمة سفك دماء الناس مسلمين كانوا أو غير مسلمين.

إن استعراض السيد للسيرة العملية لسيد الأوصياء (عليه السلام)، في تعامله مع دماء الناس، دعوة صريحة للمقاتلين في اتخاذ سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام)منهاجا في التعامل مع دماء الناس بشكل عام.

ثالثاً - كما ذكر السيد (دام ظلّه) في الفقرة (٦) مانصه: ((اللّٰه اللّٰه في اتهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحة لحرمتهم ، كما وقع فيه الخوارج في العصر الأول وتبعه في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين، تأثراً بمزاجياتهم وأهوائهم وبرزوه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم، فعظم ابتلاء المسلمين بهم.....)) (١).

إن الخطاب واضح الدلالة، بوجود التحرج من دم الإنسان مطلق الإنسان، فالسيد (دام ظلّه) يقول: ((اللّٰه اللّٰه في اتهام الناس) ولم يقل المسلمين، الأمر الذي يؤكد إنسانية الدين وما انطوى عليه من رحمة ورافة وسماحة، وانه يتعامل مع الإنسان بما هو إنسان، بصرف النظر عن انتمائه الديني أو ميوله العقائدية.

رابعاً - ثم أنه (دام ظلّه الوارف) يحذر المقاتلين، بشكل صريح من التعرض لغير المسلمين أيًا كان دينه ومذهبه، حيث يقول في الفقرة (٧) مانصه: ((إياكم والتعرض لغير المسلمين، أيًا كان مذهبه، فإنهم في كنف المسلمين وأمانهم، فتم تعرض لحرمتهم كان خائناً غادراً، وإن الخيانة والغدر لهما أقبح الأفعال، في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه)) (٢).

والحق إن الباحث ليقف حائراً أمام هذه اللمسات الرحمانية، التي تنطلق من ثنايا كلام السيد (دام ظلّه الوارف)، وهي تنشر الأمان وتهب الاطمئنان في نفوس غير المسلمين، ممن تعرضوا للغدر على أيدي الدواعش التكفيريين، ثم إنه يضعهم أمام مقارنة حية ميدانية، بين جماعة أباحت - باسم الإسلام - دماء غير المسلمين من النصارى والأيزيديين، وتفنتت في صناعة الموت بأبنائهم، وبين خطاب لمرجعية إسلامية عليا، تحرم بالضرس القاطع والدليل الدامغ دمائهم، وتعدّ التعدي عليها من الخيانة والغدر؛ - وإنهما من أقبح الأفعال ليس في دين الله فقط، بل في قضاء الفطرة -؛ لأنهم في حمى المسلمين، وليس من المرؤة أو الدين انتهاك هذا الموثق

العظيم، ولا يخال الباحث أن هناك انسانية حقة ورحمة واقعية، كالتى كشفت عنها توجيهات السيد(دام ظله)، ثم أن السيد يستشهد ويحتج بالقرآن كلام الله الفصل، الذي ليس بعده دليل، الذي يؤكد على ضرورة القسط مع غير المسلمين، والبر بهم والتعايش معهم بسلام ورحمة، وحرمة قتالهم لمجرد كونهم ليسوا بمسلمين، إذ يقول سبحانه: ﴿ لا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ سورة الممتحنة/٨، كما إنه (دام ظله) يكشف عن معدن الدين وجوهر العقيدة، وعظيم ما ينطويان عليه من احترام الإنسان، وأنهما يلزمان المسلم — كما يؤكد السيد السيستاني(دام ظله) — بأن (تكون له من الغيرة عليهم — أي غير المسلمين — مثل ما يكون على أهله)

ثم أن السيد(دام ظله) يؤكد هذا المعنى، باستدلاله بالسنة العملية لأمير المؤمنين (عليه السلام) وما ورد من خطبته، بعد غزو جيش معاوية الأنبار، وما أصاب أهلها من بلاء، حين يقول(عليه السلام): ((هذا أخو غامد، قد وردت خيله الأنبار، وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلاندها ورعاثها ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق له دم، فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا)) (١).

والحق إن السيد باحتجاجه بهذه الوثيقة التاريخية، يلفت الأنظار الى أمور هي:

— ان الدواعش — في الواقع — هم امتداد لجيش معاوية بن أبي سفيان، في الغدر والقتل والسلب، للمسلمين وغير المسلمين، وأنهما وجهان لعملة واحدة.

ب— إن انبار الأمس— جغرافيا— هي ذاتها أنبار اليوم، وإن الأعداء هم ذات الأعداء.
ت— إن أسلوب الدواعش لا يختلف أبدا عن أسلوب الجيش الأموي، في انتهاك الحرمات، حيث إن ما قام به الدواعش من سلب المسيحيات والأزيديات، وحتى المسلمات، هو عين ما قام به الجيش الأموي.

ث— إن التوجيهات والنصائح، التي تضمنت هذه الشواهد التاريخية، رسالة واضحة الى المقاتلين، بأنهم ورثة جيش أمير المؤمنين(عليهم السلام) في قتال الدواعش والتكفيريين، الأمر الذي يحملهم مسؤولية مضاعفة في الدفاع عن الدين والوطن والعرض والمقدسات، وهو ما يبعث في نفوسهم الهمة العالية والتفاني في تحقيق المراد، وهو ما حصل فعلا في صفوف المقاتلين.

ج— إن الدين الإسلامي دين رحمة ورأفة واعتدال وتسامح، وليس دين عنف وتطرف وانتقام وقتل، كما صورته الدواعش التكفيريون.

أخيرا فإنه لا يخفى ما في الفقرة الأخيرة من النص المذكور أنفا، وهو قوله(عليه السلام): (فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا)، من القوانين الأخلاقية الراقية التي تعرب عن عدل امير المؤمنين(عليه السلام)، وغيرته على غير المسلمين، وسعي السيد (دام ظلّه) الحثيث، في نقل هذه الصورة العلوية الإنسانية، ليس الى المقاتلين فحسب، بل الى العالم أجمع.

خامسا— ورد في الفقرة(٩) قوله(دام ظلّه الوارف): ((اللّٰهُ اللّٰهُ فِي الْحَرَمَاتِ كُلِّهَا، فَيَاكُمْ وَالتَّعْرُضَ لَهَا أَوْ انْتِهَاكُ شَيْءٍ مِنْهَا بِلِسَانٍ أَوْ يَدٍ.....))، حيث نبّه السيد الى تجنب المساس بالحرمات كل الحرمات، بغض النظر عن عائديتها العقائدية، فهي حرمات وحسب، وهو ما يكشف بطبيعة الحال، عن البعد الإنساني لهذه التوجيهات، وعن شموليتها للمسلمين وغير المسلمين.

المطلب الثالث: البعد الإنساني مع المسلمين:

لقد كان للمسلمين سهما وافرا من اللمسات الانسانية التي انطلقت من الرؤى العلوية الإنسانية المباركة وقد عكستها تلكم النصائح والتوجيهات للمرجعية العليا، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١- تحدث السيد (دام ظلّه) في الفقرة الثانية عن آداب القتال، وأكد أن لها آدابا مع البغاة والمحاربين من المسلمين وإضرابهم، حيث يقول: ((كما أن للقتال مع البغاة والمحاربين من المسلمين وإضرابهم أخلاقا وآدابا أثرت عن الإمام علي (عليه السلام) في مثل هذه المواقف، مما جرت عليه سيرته وأوصى به أصحابه في خطبه وأقواله، وقد أجمعت الأمة على الأخذ بها وجعلتها حجة فيما بينها وبين ربها، فعليكم بالتأسي به والأخذ بمنهجه))^(١)، والمتأمل لكلامه (دام ظلّه) يلمس أنه بصدد الإشارة الى أن الدواعش هم من صنف البغاة والمحاربين من المسلمين، مع ما يتصفون به من القتل والعنف والتطرف، وأنهم نسخة من الخوارج، الذين قاتلوا خليفة المسلمين أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأباحوا دماء المسلمين.

ولا يخفى ما في هذه الإشارة، من جنبه إنسانية، تحفظ لهؤلاء المجرمين بقائهم ضمن حريم الإسلام، ولكن لا يخرجهم مما تلبسوا به من جرائم وخطايا يهتز لها عرش الرحمن، فهم بغاة مجرمون في المقام الأول، ثم أن هذه الآداب — كما أكد السيد — مما أجمعت عليه الأمة على الأخذ بها، وهو مما يعطيها مشروعية أوثق وأكد، كما أنه استدل بما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله)، في حديث الثقلين والغدير وغيرهما، بخصوص أهل بيت نبيه (عليهم السلام)، حين يقول: ((انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم

فتهلكوا)) (١)، وفيه توجيه واضح على لزوم التمسك بأهل البيت (عليهم السلام)؛ كونهم الترجمان الحق للإنسانية والرحمة والتحابب.

٢— ورد في الفقرة رقم (٥) ما نصه: ((اللّٰه اللّٰه في حرّات الناس عامّة، ممن لم يقاتلوكم. لاسيما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم، فإنه لا تحل حرّات من قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم)) (٢). إن المتأمل لهذا التوجيه، يلمس بنحو جلي الهواجس الإنسانية التي تفيض من جوانبه، حيث يفرق السيد بشكل واضح، بين عوائل المقاتلين من التكفريين من الشيوخ والولدان والنساء، وبين المقاتلين أنفسهم، وأنه لا تحل حرّاتهم، هذا في مقابل الدواعش التكفريين، الذين لا يفرقون في قتالهم واستهدافهم بين رجل أو امرأة أو طفل أو شيخ.

بالتالي فإن السيد في مقام تقديم الإسلام الإنساني الأنموذج للعالم، ويجعل سبل التمييز ومعايير المقارنة واضحة، لكل من يبحث عن الإسلام المحمدي الأصيل وعن إنسانية الإسلام.

وفي الوقت الذي أصبح التكفير شعار الدواعش وغطائهم الشرعي في ذبح المسلمين وغيرهم، ولم يسلم من ظلمهم أحد، ترى السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) يؤكد — في الفقرة (٦)، أن كل ((من شهد الشهادتين كان مسلماً يعصم دمه وماله، وإن وقع في بعض الضلالة وارتكب بعض البدعة، فما كل ضلالة بالتي توجب الكفر، ولا كل بدعة تؤدي إلى نفي صفة الإسلام عن صاحبها)) (٣).

لقد أراد السيد بهذا الخطاب، التذكير بما احتوى عليه الدين من السعة والفسحة النابعان من النظرة الإنسانية لهذا الدين العظيم وتعاليم الشريعة السمحاء، في قبال

الضيقة والتطرف النابع من دين التكفيريين الدواعش وعقيدتهم، التي سلبت معاني الرحمة والرفق، وانعدمت معها أسباب الإنسانية.

المطلب الرابع: البعد الإنساني في الآداب العامة القتال:

لقد كان لعلي (عليه السلام) آداباً راقية عالية سامية في حروبه مع أعدائه، استحضرها

السيد السيستاني في توجيهاته ونصائحه لأبنائه المقاتلين، ويمكن الوقوف عليها عبر النقاط الآتية:

أولاً— لقد حددت توجيهات السيد السيستاني (دام ظله) ونصائحه بعض آداب القتال، التي تنم عن اللمسات الإنسانية العالية فقد ورد في الفقرة رقم (٤)، بعد أن ذكر السيد حرمة الدماء وحرمة سفكها بغير حقها، فإنه يقول: ((فإن وجدت حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة، فقدموا التحذير بالقول أو بالرمي، الذي لا يصيب الهدف أو لا يؤدي إلى الهلاك، معذرة إلى ربكم واحتياطاً على النفوس البريئة))^(١).

إن القراءة المتمعنة والمنصفة للنص، تفضي إلى القطع بأن السيد يؤجّه المقاتلين إلى وضع مكانة الإنسان في المرتبة الأولى، وإن كان في حالات المواجهة مع أعداء الدين من التكفيريين الإرهابيين.

فيما ترى التكفيريين يوجهون بهائمهم البشرية من المفخخين والسيارات المفخخة وغيرها، باتجاه التجمعات البشرية، ممن ليسوا في ساحات الحرب والمواجهة.

والحق إن السيد (دام ظله) أراد من خلال هذه التوجيهات المباركة — لاسيما بعد الاستجابة الواسعة لفتوى الجهاد الكفائي المباركة، رفق الساحة العسكرية والحربية، بانموذج عسكري إنساني في المقام الأول.

ثانياً- استشهد السيد (دام ظلّه الوارف) في الفقرة رقم (٩)، بوصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)، التي منها قوله: ((لا تمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترًا ، ولا تدخلوا دارًا ، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم)) (١)، بينما ترى التكفريين لا يرقبوا إلا ولا ذمة في مسلم أو غير مسلم ، كما أن السيد ذكر في الفقرة رقم (١٠)، أن من جملة آداب الحرب التي ينبغي مراعاته هي عدم الإبتداء بالقتال، كما كان هو ديدن نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وسيد الشهداء (عليهما السلام)، والسيد (دام ظلّه الوارف) ، يدعو بنحو واقعي الى تفعيل الجانب الإنساني وتقديمه ، على الجوانب العسكرية السياسات الحربية القاضية بالتفكير بالنصر أولاً وقبل كل شئ.

ثالثاً- لعل من روائع الوصايا النابضة بالحس الإنساني ، هو ماورد في الفقرة رقم (١١)، من نصائح للمقاتلين، والتي يقول فيها السيد (دام ظلّه الوارف): ((واعلموا أن أكثر من يقاتلكم إنما وقع في الشبهة بتضليل الآخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضلين بما يوجب قوة الشبهة ، في اذهان الناس حتى ينقلبوا أنصارا لهم، بل ادروها بحسن تصرفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان، فإن من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنه أحياه ، ومن أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنه قتله)) (٢).

إن حكمة السيد وبعد نظره حاضرا — كما في التوجيهات الماضية — فهما فعالان في هذا التوجيه أيضا ، ويمكن تلمس الجانب الإنساني في أمور :

أ — أن السيد التمس العذر لأغلب من يقاتل في صفوف الدواعش، — مع تلبسهم الواضح في الجريمة، ونيتهم المنعقدة في قتال جنودنا — وأنهم إنما وقعوا بالشبهة بسبب تضليل الآخرين .

ب — أراد السيد من ورائه هذا التوجيه، قطع الطريق على التكفيريين في تجنيد الناس الى صفوفهم، من خلال حسن التصرف مع هؤلاء المضللين، وأخذهم بالعدل والصفح وتجنب الظلم والعدوان.

ج — وأخيرا فإن من نتيجة ذلك، أن من درأ شبهة عن ذهن امرئ، فكأنما أحياه، وعلى العكس من ذلك، فإن من أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنما قتله.

أن المتتبع لهذه النصائح، يرى بجلاء تلك النزعة الإنسانية التي تنبعث منها، لتخاطب القلوب التي غلب عليها الرين وغرقت في الآثام والذنوب، ولكن ذلك لا يمنع من المحاولة، وليس بغريب من السيد (دام ظلّه الوارف) استنطاق الحق واستخراج الرحمة من تلك النفوس التي انعقدت على الظلم والشر؛ لأنه خلق رباني وسمت نبوي، يقول عز من: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى طغى فقولوا له قولنا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ سورة طه/٤٣-٤٤، وهو أمر موسى وهارون (عليهما السلام)، بأن يذهبا الى فرعون وتبليغه الدعوة بقول لين، مع ما يتصف به من الطاغوتية والجبروت وادعائه الربوبية .

رابعاً — مما يؤكد الجانب الإنساني في توجيهات السيد السيستاني ونصائحه للمقاتلين، هو ماورد في الفقرتين (١٢) و(١٣) من ضرورة معالجة الأمور بالعدل فحسب؛ وما ذلك إلا لعظيم ((ما يخلفه الظلم من شحن للنفوس ومشاعر العدا — على حد قول السيد — مم يهد المجتمع هذا))^(١)، ثم أنه يوصي بالتثبت وضبط النفس

رعاية للموازن والقيم النبيلة، وإن كان فيه بعض الخسارة العاجلة 'غير انه أكثر بركة وأحمد عاقبة وأرجى نتاجاً^(٢)

إن النفحات الإنسانية واضحة في ثنايا النص، الذي استهدف شريحة المقاتلين والمجاهدين. ممن تشرفوا حمل راية الدفاع عن الدين والوطن.
نتائج البحث

توصل الباحث في مسك ختام البحث الى جملة من النتائج هي:

أولاً: يمثل السيد السيستاني(دام ظلّه الوارف)قطب الرحي في المؤسسة الدينية، المتمثلة بالحوزة الدينية في النجف الأشرف، فهو المرجع الأعلى فيها، ولقد كان له دوا فاعا في صياغة الواقع السياسي للعراق، من كتابة الدستور الى إجراء الإنتخابات، الى غيرها من الخطوات السياسية التي خطت لمستقبل العراق.

ثانياً: كان للسيد دورا كبيرا ومؤثرا—وما زال—في درء الفتنة الطائفية، التي أراد أعداء العراق من خلالها تمزيق العراق.

ثالثاً: كانت فتوى الجهاد الكفائي التاريخية للسيد السيستاني، في حزيران من عام (٢٠١٤)، ابلغ الأثر في صد العدوان الداعشي، وإيقافه عند حده، واسترجاع ما اغتصب من أراضي العراق، وقد كشفت الفتوى عن الإستجابة العالية لأبناء الشعب، الأمر الذي يسفر عن الولاء المطلق للمرجعية العليا، وهو ما أعرب عن القدرات العراقية العالية لآبناء الشعب.

رابعا: لقد سعت المرجعية العليا، بعد تلك التلبية العظيمة لفتوى الجهاد الكفائي، الى تنظيم عمليات التحرير، عبر النصائح والتوجيهات التي خاطبت بها المقاتلين. فضمت التوجيهات جوانب إنسانية عالية أسفرت عن البعد الإنساني الذي يتمتع به ديننا الحنيف.

خامسا: لم تفرق التوجيهات والنصائح في ما تمخض عنها من جوانب إنسانية بين مسلم ومسلم، أو بين مسلم ومسيحي، بل لم تغمط حتى حقوق أعداء العراق، وكان الهاجس الإنساني لنصائح وتوجيهات السيد (دام ظله)، يؤكد على قيمة الإنسان في المقام الأول.

سادسا: استعرضت التوجيهات المباركة، سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما شعت منهما من هواجس إنسانية، الزم السيد المقاتلين بالالتزام بها، واتخاذها منهجا وقدوة في التعامل مع الأعداء. سابعاً: استهدفت التوجيهات المباركة، بيان حقيقة الدين الإسلامي وأنه دين ينبذ التطرف والعنف والتكفير، ويقوم على أساس الإنسانية والرحمة والتسامح، مع بني البشر بغض النظر عن انتماهم العقائدي، وكشفت عن مكانة المرجعية وحجمها، وقدرتها على تغيير المعادلات العسكرية، كما بينت حقيقة أعداء العراق والدين والإنسانية، وأنهم امتداد للخوارج الذين قاتلوا أمير المؤمنين (عليه السلام).

الهوامش:

(١) ظ: ثامر عبد الحسين العامري (معاصر): موسوعة انساب العراقيين السادة العلويين/ ط ١ (٢٠٠٤م) / ١٧٤١.

(٢) ظ: الشاهرودي (معاصر): المرجعية الدينية ومراجع الإمامية، ١٨٨٧.

(٣) الغروي: محمد (معاصر): المرجعية الدينية في مدرسة أهل البيت ومواقفها السياسية/ دار المحجة البيضاء/ ط ١ (٢٠٠٥) / ٥٢.

(٤)، (٥) ظ: بحر العلوم: محمد صادق محمد باقر: الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف / ٢٤٠٧.

(٦) ظ: الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية، ١٨٩٧.

(٧) ظ: أقا بزرك: الطهراني (ت ١٣٨٩هـ): الذريعة الى تصانيف الشيعة/ دار الاضواء بيروت — لبنان / ٢٦ / ٣١.

(٨) الغروي: المرجعية في مدرسة أهل البيت ومواقفها السياسية، ٥٦.

- (١) ظ: الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية/١٩٠.
- (٢) ظ: البغدادي: لمحات من حياة الإمام السيستاني/١٥.
- (١) ظ:مجلة المرشد: مجلة دورية تعنى بالثقافة والتراث والآثار/سوريا — دمشق / (٢٠٠٧م) عدد خاص عن السيد السيستاني/٩١ — ٢٠.
- (٢) ظ: الشاهرودي: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية/١٩٢.
- (١) ظ: مجلة الموسم: الإمام الخوئي المرجع الشيعي الأكبر — اكااديمية الكوفة /المركز الوثائقي لتراث أهل البيت(عليهم السلام) — هولندا/٤٢.
- (٢) ظ: حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني/وثيقة رقم ١٩/٢٢٣.
- (١) عمار البغدادي: مبادئ الدولة والقيادة لدى مراجع الدولة/٨٥.
- (١) ظ: الكليني: محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ): الكافي/ تحقيق علي أكبر غفاري/ ط٣(١٣٦٧هـ)/دار الكتب الاسلامية — طهران ٢٧/٥+ابن عساكر(ت٥٧١هـ):تاريخ مدينة دمشق/ تحقيق علي شيري/ط(٤١٥هـ)/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت — لبنان ٢٤٧/٦٥+ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ):المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا/ط١(٤١٢هـ)/نشر الكتب العلمية- بيروت — لبنان٤م١١٦.
- (٢) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) — مكتب النجف الأشرف/ دار البذرة — النجف الأشرف.
- (١) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) — مكتب النجف الأشرف/ دار البذرة — النجف الأشرف.
- (٢) المجلسي(ت١١١هـ):بخار الأنوار/دار إحياء التراث العربي بيروت — لبنان ٦١١/٣٣+ البحراني: ابن ميثم(ت٥٦٨٩هـ):شرح نهج البلاغة/ط١/نشر مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية- قم — ايران١٧٦/٥.
- (١) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) — مكتب النجف الأشرف/ دار البذرة — النجف الأشرف.
- (٢) م.ن
- (١) الكليني: الكافي/٥/٥.
- (١) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) — مكتب النجف الأشرف/ دار البذرة — النجف الأشرف.
- (١) القندوزي الحنفي(ت١٢٩٤هـ):ينابيع المودة لذوي القربى/تحقيق علي جمال أشرف الحسيني/ ط١(٤١٦هـ)/طبع ونشر دار الأسوة للطباعة والنشر/٨٥.
- (٢) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) — مكتب النجف الأشرف/ دار البذرة — النجف الأشرف.

(١) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) - مكتب النجف الأشرف / دار البذرة - النجف الأشرف .

(١) م.ن .

(١) الحر العاملي(ت ١١٠٤هـ): وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة/تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث/ ط٢ (١٤١٤هـ) / مطبعة مهر - قم ٩٥/١٥ + الطبري: محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري/تحقيق نخبة من العلماء/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ٦/٤، وغيرها.

(٢) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) - مكتب النجف الأشرف / دار البذرة - النجف الأشرف .

(١) نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) - (٢) ظ: م.ن .

المصادر

— القرآن الكريم خير الكلام وامام الأنام.

١ — أقا بزرك: الطهراني(ت ١٣٨٩هـ): الذريعة الى تصانيف الشيعة/دار الاضواء بيروت - لبنان.

٢ — بحر العلوم: محمد صادق محمد باقر: الإمام السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف .

٣ — البحراني: ابن ميثم(ت ٥٦٨٩هـ): شرح نهج البلاغة/ ط١ /نشر مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم - ايران.

٤ — البغدادي: عمار: مبادئ الدولة والقيادة لدى مراجع الدولة

٥ — البغدادي: لمحات من حياة الإمام السيستاني.

٦ — ثامر عبد الحسين العامري(معاصر): موسوعة انساب العراقيين السادة العلويين/ ط١ (٢٠٠٤م).

٧ — حامد الخفاف: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني.

- ٨- الحر العاملي (ت ١٠٤١ هـ): وسائل الشيعة الى تحصيل الشريعة/تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث/ ط٢ (١٤١٤هـ) / مطبعة مهر- قم.
- ٩- الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا/ ط١ (١٤١٢ هـ) /نشر الكتب العلمية- بيروت - لبنان
- ١٠- الشاهرودي (معاصر): المرجعية الدينية ومراجع الإمامية.
- ١١- الغروي: محمد (معاصر): المرجعية الدينية في مدرسة أهل البيت ومواقفها السياسية/ دار المحجة البيضاء/ ط١ (٢٠٠٥).
- ١٢- القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤ هـ): ينابيع المودة لذوي القربى/تحقيق علي جمال أشرف الحسيني/ ط١ (١٤١٦ هـ) /طبع ونشردار الأسوة للطباعة والنشر.
- ١٣- ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ): تاريخ مدينة دمشق / تحقيق علي شيري/ ط (١٤١٥ هـ) / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان.
- ١٤- الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ): الكافي / تحقيق علي أكبر غفاري/ ط٣ (١٣٦٧ هـ) / دار الكتب الاسلامية - طهران.
- ١٥- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ): تاريخ الطبري/تحقيق نخبة من العلماء/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت - لبنان.
- ١٦- المجلسي (ت ١١١١ هـ): بخار الأنوار/ دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان .
المجلات والدوريات
- ١٧- مجلة المرشد: مجلة دورية تعنى بالثقافة والتراث والآثار/سوريا - دمشق / (٢٠٠٧م) عدد خاص عن السيد السيستاني.

-
- ١٨ — مجلة الموسم: الإمام الخوئي المرجع الشيعي الأكبر — اكااديمية الكوفة
/المركز الوثائقي لتراث أهل البيت(عليهم السلام) — هولندا.
- ١٩ — نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد: إصدار مكتب سماحة السيد
السيستاني(دام ظله) — مكتب النجف الأشرف / دار البذرة — النجف الأشرف .

المرجعية ودورها القيادي في السلوكيات الاخلاقية التربوية (المرجع

الشيرازي نموذجا)

أ.م.د. هدى محمد سلمان

جامعة بغداد – مركز البحوث التربوية والنفسية

المبحث الأول:

إنّ تعليم القيم الفاضلة، والتي هي أحكام وقواعد وأعراف ربانيّة المصدر أصلا متناسقة وواقعيّة توافق طبيعة الإنسان، بل واقع الكون والحياة شاملة، تتوجّه إلى تنمية الفرد في عقله وبدنه وزوجه ونفسيّته، والتربية فيها تكون بالتدرج والاستمرار والثبات، والتدرّج يكون حسب المرحلة العمريّة وحسب تقبّل تلك التربية، والرّجوع إلى المرجعيّة الدينيّة للاهتمام بالتربية القيمية أمر حضّت عليه المرجعيّة الدينيّة كلها، وحتى السياسيّة والقانونية والبيداغوجية عالميا؛ ففي القرآن الكريم ذكر الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِّلَّذِينَ هِيَ أَقْوَمٌ وَيُنَبِّشُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩). المرجعية الدينية الامتداد الحقيقي اللازم للإمامة، التي تشكّل بدورها الامتداد الطبيعي للنبوّة في أبعادها المختلفة، وخاصّة في بعديها العقائدي والسياسي، وقد رسم هذا الامتداد للمرجعية الطريقة التي تنتهجها وتسلكها للتعامل مع جميع الظروف والأوضاع، بما فيها الأوضاع والظروف السياسيّة، وحسب الشروط والخطوط التي وضعها أهل بيت عليهم السلام، فقد مرّ أهل البيت عليهم السلام بمراحل وأدوار ذات ظروف وعوامل مختلفة، جعلتهم يتصرفون مع تلك الظروف بما يتلاءم مع شروط كل مرحلة ودور. وبما أن المرجعية الدينية هي الامتداد

الطبيعي للإمامة؛ فإن عملها يجب أن يكون في ظل ما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام من أدوار ومواقف مختلفة.

لقد تقلدت المرجعية الدينية وظائف وواجبات عديدة جعلتها تحمل أمانة الرسالة المحمدية، ومارست الأدوار والمواقف والمراحل ضد حركة الانحراف والتدهور مثلما مارسها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وإن حركة علماء الدين والمراجع على المستويين الفكري والميداني تهدف إلى الهدف ذاته، فهم يسعون جاهدين إلى الحفاظ على حياة الناس أولاً (القيم العظمى)، فهو هدف كل المصلحين، وأول أولوياتهم على اختلاف توجهاتهم، وإذا كان الهدف والغاية من كل دين أو نظرية إنسانية هي حياة الإنسان، فمعنى ذلك أن كل ما يوفر للإنسان والإنسانية السلام والحياة الحرة الكريمة، هو هدف العلماء والفلاسفة والأديان والأفكار. أن دورها يعني الإشراف على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية والاجتماعية، وهي تكليف وليس تشريف، وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزاً سياسياً؛ وأكدت المرجعية على أهمية النظرية الإسلامية: (في النظرية الإسلامية واحاديث اهل البيت (عليهم السلام) نجد للاخلاق دوراً مهماً جداً، وتمثل القاعدة الثانية من حيث الأهمية بعد العقيدة بالنسبة إلى البناء الاجتماعي وإلى الحركة الاجتماعية) مقسماً هذا الركن إلى أربعة أقسام:

الاول: الاخلاق ذات العلاقة بالسلوك الشخصي والسيرة الذاتية للأفراد.

الثاني: الاخلاق الاجتماعية وهي: الاخلاق ذات الارتباط بالناس، وكيفية التعامل معهم ومداراتهم، وهو قسم موجود في بحوث وكتب الاخلاق.

الثالث: الاخلاق السياسية: وهي الاخلاق التي لها علاقة بالعمل السياسي والاجتماعي وادارة عملية التغيير، والمواجهة مع قوى الظلم والاستكبار والفساد.

الرابع: اخلاق الصفوة، التي لا بد أن تتصف وتتميز بها عندما يتم اعدادها.

نحن من شيين الروح والبدن ، وإذا كنا نعلم طريقنا إلى غذاء أبداننا فهل نتعلم طريقنا إلى غذاء أرواحنا الأهم أيضا ؟ فما هو هذا الغذاء الأهم ؟

انه الأخلاق الحسنة ، والتي لا يختلف اثنان في حاجة الإنسان إليها ، حتى ذلك المنسلخ عنها تجده يغضب عليك إن صارحته بحاله ، وربما طالبك بها وهو يعلم نفسه انسلاخها عنها !

فهذا أبسط دليل على حاجة الإنسان الملحة والفطرية إلى الأخلاق الحسنة ، وأقوى دليل على إجماع الفطرة البشرية نحو مطلوبة الأخلاق الحسنة وخلوديتها مع الدين الحق .

قال الله تعالى : سلطان (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . وترقى درجة الحاجة إلى الأخلاق الدينية في عصرنا وتتأكد رغم التقدم العلمي والصناعي الذي بهما سخر الإنسان شتى موارد الطبيعة فإنه من دون أخلاق تحدد له طريقة الاستفادة من ذلك سوف يهلك نفسه ويدمر غيره ، وهل تبقى للحياة بعدئذ معانيها الرغيدة ، أو هل تعلقو للعدالتراية ؟

فإذا كانت الأخلاق حاجة ملحة وفطرة ثابتة ، فما هو الذي نفتقر إليه في سبيل العلاج والإنقاذ ؟ نفتقر إلى هداة رسموا لنا جمالية الأخلاق الجذابة إلى الخير كله سواء بكلماتهم الوضاعة أو سيرتهم المضيئة ليكونوا القدوات الصالحة للتأسي ، وهؤلاء الذين بهذا المستوى الرفيع والذين يسدون فقرنا الأخلاقي ويعيدون إلينا توازناتنا الروحية هم النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وكل من أخذ من رياضهم الزاهر إشراقات أخلاقية رائعة ، قد جاء ذكرها في كتب التاريخ والحديث والأخلاق

المبحث الثاني :

مفهوم الاخلاق التربوية في فكر المرجع الشيرازي:

الاخلاق لغتها:- هي السجية والطبع والدين، وهي صورة الانسان الباطنية، اما صورة الانسان الظاهرة فهي الخلق، لذلك كان من دعاء النبي - صلى الله عليه واله وسلم: (واهدني لاحسن الاخلاق، لا يهدي لاحسنها الا انت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها الا انت)، ويوصف المرء بانه حسن الظاهر والباطن اذا كان حسن الخلق والخلق. الاخلاق اصطلاحا:- عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر ومن غير حاجة الى فكر ولا روية، وهذه الهيئة اما ان تصدر عنها افعال محمودة، واما ان تصدر عنها افعال مذمومة، فان كانت الاولى، كان الخلق حسنا، وان كانت الثانية كان الخلق سيئا.

اهمية الاخلاق ومكانتها في الاسلام:- يمكن تبيين اهمية الاخلاق في الاسلام من عدة امور منها:

اولا: الدعوة للأخلاق: من خلال ما جاء به النبي - صلى الله عليه واله وسلم حيث قال: (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

ثانيا:- تعظيم الاسلام لحسن الخلق: حيث قال صلى الله عليه واله وسلم: (ان احبكم الي، واقربكم مني في الآخرة مجلسا، احسنكم اخلاقا، وان ابغضكم الي وابعدكم مني في الآخرة اسوؤكم اخلاقا، الثرثارون والمتفريقهون والمتشدقون)

ثالثا:- انها اساس بقاء الامم: قول الشاعر

واذا اصيب القوم في اخلاقهم..... فأقم عليهم ماتما وعويلا

رابعا: انها من اسباب المودة، وانهاء العداوة: كقوله تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم)

خامسا:- الخلق افضل الجمالين: الجمال جمالان حسي يتمثل في الشكل والهيئة والزينة والمركب والجاه والمنصب، وجمال معنوي، يتمثل في النفس والسلوك والذكاء والفطنة والعلم والادب، كما قال الشاعر:-

ليس الجمال بأثواب تزيننا.....ان الجمال جمال العلم والادب

رمزية الاخلاق وبناء المجتمع:- وفي الحديث عن الاخلاق كقيمة انسانية في الحياة ومكانتها من الرسالة الالهية، لا بد من التطرق عن ما يفعله الانسان، وما يتعود عليه من سلوك يأتي على اثر بنيانه التربوي، وصياغته النفسية.

وقد اكد ذلك سماحة اية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) بقوله: الاخلاق تبدو لنا مفردة مجردة، تعتمد المعنى قبل الفعل، ولكنها في واقع الحال، تؤثر على الواقع المادي، كما تؤثر فيه العلوم، لهذا فان اكتساب الاخلاق والسعي الى درجة الاكتمال في هذا الجانب اصعب بكثير من اكتساب وفهم واتقان احد العلوم، والسبب يكمن في ان الاخلاق تدخل في بناء النفس، فيما تسهم العلوم في بناء عقل الانسان، والفارق بين بناء النفس وبناء العقل كبير من حيث الجهد المبذول في هذا المجال، ومن بدهاة القول ان المجتمع اكثر حاجة للإنسان الخلق المتزن، الانساني في افكاره وسلوكه، من الانسان الذي يتقن العلوم لكنه لا يتقن السلوك الانساني.

التزام الفضائل الاخلاقية والعناية بها:-

في البدء يجب الاهتمام بتغيير النفس واصلاحها ومن اجل الدخول في المرحلة العملية للحياة وخصوصا ونحن معرضون لسيل من المفسد اثرت فينا بطريقة او بأخرى، فهناك مجتمع فاسد، وتضليل اعلامي مركز، واحقاد، وطائفيات، وانانيات، ونحن ينبغي علينا ان نتجاوز هذه المفسد بكل قوة، ولكي نربي انفسنا على اساس

الفضيلة والتقوى، والمرحلة الاولى لسلوك هذا الخط، هي الابتداء والمبادرة الى التوبة لله عز وجل، وذكره بشكل دائم، والخشوع له، كما يقول سبحانه:

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) والملاحظ استعمال صيغة الحصر في هذه الآية بكلمة (انما) دلالة على عظمة المؤمنين الذين تخشع قلوبهم بمجرد سماع آيات القران، فيؤنبون انفسهم.

من هذه الارضية المتماسكة والصلبة يمكن للمجتمع الاسلامي الفخر والاعتزاز وذلك عندما يكون كالجسد الواحد كما تعبر عن ذلك الآية الكريمة خير تعبير: (انما المؤمنون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد)، هذا الجسد الواحد والتلاحم بالقيم الاخلاقية هو الذي يصنع التاريخ ويضمن المستقبل، وان الفرق بين الامة القوية والامة الضعيفة لا يكمن في المظهر، بل في العمق والجوهر، فالصفات المثلى التي تتحلى بها الامة المتحدية القوية تختلف عن تلك التي تتميز بها الامة الضعيفة، وبذلك نرى ما اكده اية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) بقوله: المستوى الذي يبلغه الاخلاقي يؤثر في اداء دوره في المجتمع، فقوله وفعله وسيرته وتاريخه يشجع الناس نحو الفضائل الاخلاقية والاجتناب عن رذائلها اذا كان هو من اهل الفضيلة، ولكن ان كان عكس ذلك فسيُدفع الاخرين الى العكس ايضا. لذا لا بد ان يدرب الانسان نفسه على انتهاج سبل الفضيلة، وكبح نوازع الرذيلة التي تدفع نحوها النفس طمعا او طلبا لتحقيق مآرب لا مشروعة، ومن هنا ينبغي على من يسعى ان يجعل من الفضيلة شعارا في القول والفعل يطبقه في حياته العملية وسواها، والفرق بين الاخلاق والعلوم الاخرى، يكمن في صعوبته قياسا بها، فالرقي في الاخلاق اصعب منه في العلوم الاخرى وحيث ان الاخلاق تعني

تهذيب النفس وبناءها، وقد قال بعض اهل الخبرة من الصعب ان يصبح المرء مجتهدا ولكن من الاصعب ان يصير انسانا.

العناصر الاخلاقية

وبذلك نفهم ان الاخلاق عناصر ذات قيم اخلاقية رفيعة منها:

١- العطاء:- ايتاء المال اما يكون على حب المال نفسه، واما على حب الله سبحانه وتعالى، فاذا قلنا على حبه للمال، فهذا يعني ان هذا الانسان المنفق ممن قال الله فيهم: (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة).

أي ان هذا الانسان مع احتياجه الى هذا المال الا انه يؤثر به الفقير ويعطيه المال رغم حبه واحتياجه اليه، واما على حب الله تعالى، فيعني ان لا يكون عن رياء وان لا يكون به من واذى، بحيث لا تعرف شماله ما اعطيت يمينه.

والقران يؤكد لنا في كثير من الآيات ضرورة العطاء لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، بمعنى ان الانسان لا يجب ان يعطي فقط لمن يسأله من الاصناف الاخرى من المحتاجين، من هنا علينا ان ننتظر اليتيم فاقد الاب وليس له كفيل لكي يقف على بابنا للسؤال، ولا ننتظر اقاربنا لياتي احدهم الى بيتنا فيريق ماء وجهه بين ايدينا، وكذلك المسكين الذي يحمل عنوانه معه، فالمسكين يعني من اسكنه الفقر فهو يجلس على التراب، وابن السبيل لا يسأل، فهو شخص عزيز في بلده يخرج ويأتي الى بلدك فينقطع به السبيل فيصبح لا يملك شيئاً (المهجرين من ديارهم خير سبيل على ذلك) فاذا جاءنا احد يسأل فلا يجب علينا ان نسأله هل انت يتيم حقا، هل انت مسكين او ابن السبيل، لان السائل الذي اراق ماء وجهه لنا يجب ان تعطيه، فهذه هي صفات المؤمن الحقيقي.

وعلى ضوء ذلك يقول آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه): هل رأى العالم اوقراً او سمع نظاما اقتصاديا يستطيع ان يقتلع جذور الفقر عن الناس حتى يكون من بواعث العجب والدهشة رؤية فقير واحد في طول البلد الاسلامي وعرضها، ولو كان ذلك مسيحيا غير مسلم؟ وهل استطاع العالم المعاصر، والتجارب الاقتصادية الكثيرة من وضع نظام اقتصادي كهذا؟ والجواب على ذلك كله: النفي طبعاً، فاليوم وقد بلغت الحضارات قمتها، والانظمة الاقتصادية ذروتها، لاتكاد تجد بلدا واحدا الا والفقر قد نشر اجنحته السوداء، والفقراء ملأوا الارض، والجوع والحرب شمالا شرقا والغرب والجنوب والشمال لذلك نلاحظ ان اغنى البلدان في العالم تنطوي على الفقر، ويوجد فيها فقراء، والسبب هو التطبيق الاقتصادي الخاطئ، ووضع الفوارق الطبقية بين شرائح المجتمع الواحد، اما الاسلام فهو يرفض الطبقة، ويدعو الى العطاء والمساواة في الفرص وغيرها.

٢- الوفاء بالعهد:- ان الامة التي لاتعرف العهد، ولا تعرف اليمين والميثاق، وتجهل كلمة الشرف، هذه الامة تنهار بسهولة، يجب ان تكون لدى الامة ورجالها كلمة وثبات ووفاء بالكلمة والعهد، وهذا هو الذي يجعل الامة متماسكة ثابتة والتي يعتبرها القران من اخلاق وصفات المؤمن حيث جاء في قوله تعالى: (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا).

وفي تاريخنا الكثير من مواقف الشرف والوفاء بالعهد والثبات عند الكلمة منها ان الطاغية الظالم (الحجاج) حكم يوما على شخص بالإعدام، فقال هذا الشخص للحجاج: امهلي سواد هذه الليلة لأذهب لعائلي فأودعهم ومن ثم اعود، فقال له: او يعقل ان تعود الى الموت برجليك! قال: نعم اعود، فطلب منه الحجاج ان يأتيه بمن يكفله حتى يعود، فلما نظر الرجل الى المجلس، قال: انا لا اعرف احدا، وهنا قام رجل

وقال: يا امير انا اكفله، فقال له: ان لم يأت قتلتك مكانه، فقال الرجل: لابس، ووافق الحجاج على كفالته، فذهب المحكوم على ان يأتي في اليوم التالي وفي وقت محدد كالظهر مثلا، ذهب الحجاج في اليوم التالي مع الكافل وجماعة من الناس والسياف الى باب مدينة الكوفة بانتظار عودة ذلك الرجل، ومع مرور الساعات الثقيلة اقترب الوقت من الظهر، واحمرت عينا الحجاج واخذ ينظر الى الكافل وهو يقول: ان ساعتك قد اقتربت وسيقطع رأسك الان، فقال له الرجل: اني مستعد ولكن اتعلم ان ذلك الرجل المحكوم هو رجل شريف ولديه كلمة شرف واخلاق، وبانه اتحتمما قبيل اذان الظهر، وما هي الا لحظات واذا بغبرة من بعيد لم تتجل الا وبالرجل المحكوم واقف بكل اطمئنان امام الحجاج قائلا: ها انذا جئتك فانفذ في امرك، فقال له: اوجئت الى الموت بقدميك يا هذا ! فقال له: انا اعطيت كلمة شرف اثبت عندها وافي بعهدي لكي لاينقطع الوفاء بين الناس، واما الكافل فقال: كفلته لشرف كلمته، ولكي لايقال بان الثقة فقدت بين الناس، فعفا الحجاج عنهما معا رغم طغيانه وظلمه.

وان كلمة الشرف هي قيمة الامة واخلاقها فلا ينبغي ان تكون كلماتنا رخيصة زائفة نطلقها بلا دراية والتزام، فمن يعطي كلمة يكون على قدر منها. وعلى ضوء ذلك يرى اية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله): الاخلاق عنصر جوهرى في بناء الشخصية، ولا ينتمى الى المظاهر القشرية، ولهذا تبقى الاخلاق ناقصة، اذا لم تتحول الى فعل قائم، وشاخص في الميدان الذي يتحرك وينشط فيه الانسان، من هنا تتسم الاخلاق، وقضية تحصيلها، والتميز بها بالتأني، بسبب العمق السحيق الذي يميزها، وهذا القول او الرأي، يدعم اصطفاغ الاخلاق الى الجوهر الانسانى قبل شكله.

ويسبب صعوبة تحقيق التكامل الاخلاقي في شخصية الانسان، فانه قد يصل الى حالة من اليأس، والذي يقوده الى التراجع عن دوره الانساني في الحياة، فالأخلاق منظومة ترفع الانسان وتسمو بنفسه، الى ما فوق الانسان المتعارف عليه في المجتمع، حيث يتنزه الانسان المتسم بالأخلاق، عن الصغائر، والغرائز، والنوازع التي غالبا تحاول ان تحط من قيمة الانسان، كقيمة فكرية، سلوكية، عليا بين الكائنات، التي تتخذ من المعمورة مأوى لها، فسماعته يؤمن ويحث الآخرين على اهمية الغذاء الروحي قبل الجسدي، كون الغذاء الروحي يسمو بالروح الى مراتب عالية، تجعل من صاحبها، او حاملها، نموذجا مشعا على الآخرين، بأخلاقه التي تتمخض عن سلوكيات وافكار، تصنع الفرد والمجتمع النموذجي حيث يقول (دام ظلّه): علينا بعلم الاخلاق فليست اخلاق الاسلام وادبه كلها مستحبات ومكروهات فقط، بل ان فيها الواجبات والمحرمات ايضا.

وهذا يعني بان الانسان المسلم لكي يمنح احقية الانتماء للإسلام، شكلا وجوهرا، عليه ان يهتم، ويتواصل، ويتعاطى، مع علم الاخلاق، ليس في جانبه الاعتباري، او العلمي فحسب، بل لا بد ان يتحول هذا العلم والمحتوى، الى تطبيق علمي شاخص، في ميدان العلاقات الانسانية الواسعة، والمتعددة الجوانب، مع عموم افراد المجتمع، وجماعته المختلفة، لذلك لا ينبغي قط ان ننظر او نتعامل مع الاخلاق، على انها جانب شكلي، او مكمل (فحسب) تتصنعه لوقت محدود، ويقول (دام ظلّه): اذا حصل الانسان على ملكة حب الخير في كل ابعاده، شعر باللذة، وبدأ يلمس نتيجة اتعابه في مجال الاخلاق والفضائل.

٣- الصبر: هو من الاسس الاخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن، فالصبر يحمل على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الاذى والحلم، والاناة، والرفق، وترك الطيش والعجلة.

ويدعى الانسان دائما بحمل صفة الصبر مادام في رخاء ونعمة، فهو صابر مع وجود الطعام والبيت الواسع والفرش الوفير والامن والصحة. ولكنه من اول مشكلة تراه ينقلب ويجزع، ان الصابرين هم من يصفهم القران الكريم بقوله تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس)، ففي الادعاء ترى الكثير من الناس معك، ولكن عندما تحدث المشكلة تراهم قد انهزموا، ويفر كل شخص الى ناحية ويعطي تبريره، بل وحتى لا يكلف نفسه ليقول لك الوداع، او يسلم عليك بعد ذلك.

ان الانسان عموما اذا امتحنته عند الشدائد، ترى لديه التقوى، وجوهر التقوى ورأس الايمان ان يكون لدى الانسان الصفات المثلى (الاخلاق) كالصبر والعهد وكلمة الشرف والعطاء... ومجتمعنا الحاضر بحاجة ماسة لهذه الصفات الاخلاقية.

وعندما اتينا على ذكر الصفات الاخلاقية فلا بد من الاشارة الى ما يفسد هذه الصفات ويأتي التشاؤم والنظرة السلبية في المقدمة، ولاننا نضع نظارة سوداء على اعيننا، فاننا لانرى في هذا العالم سوى السواد، ولا نرى في الناس خيرا بل كلهم في شر، فهل رأينا انفسنا في المرآة يوما؟ وهل نعرف انفسنا لنزكيها؟ وهل حاسبنا انفسنا اولا قبل ان نحاسب الاخرين؟ فأنا مثلهم ايضا، نصفنا شيطان ونصفنا ملائكة، ففي ساعة نصبح في حالة من الذكر والبكاء والخشوع....، وفي ساعة اخرى ننجرف مع الشهوات... واننا وجميع البشر هكذا، فلماذا نخادع انفسنا، حين نرى احد غيرنا يخطئ ان نقول بانه قد اصبح شيطانا، فانه بشر يخطئ ويصيب خلال عمره، ونحن مثله ايضا.

الاخلاق تقود العالم اجمع الى مرفأ الامان:- يرى اية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) في هذا المجال من خلال ما يراه من تهذيب النفوس حاجة ملحة ومطلوبة سواء على مستوى الافراد او الجماعات، ولعل الاخلاق هي الطريق الاصح والاقرب لتحقيق هذا الهدف، لذلك ليس غريبا ان يقول الرسول الاعظم - صلى الله عليه واله وسلم - في حديث شريف: (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)، وليس غريبا ان يضع الرسول - صلى الله عليه واله وسلم - هذه القيمة الكبرى للأخلاق، ففي القوة الرادعة لأهواء النفس وهي قاعدة الضوابط التي تحكم سلوك الانسان ونواياه تجاه الآخرين، لهذا لا بد من ان يتدرب ويتمرن الانسان على ترويض النفس والتحكم بها بأخلاقه الرفيعة، ويقول (دام ظله): ان المرء في أي مجال كان وفي أي بلد وفي أي مرتبة فهو مردد بين الخير والشر، اذ ان في الانسان دافعا الى الخير وهو العقل ودافعا نحو الشر وهي النفس الامارة بالسوء، فاذا كان المرء حسن الخلق فان دافع الخير عنده يغلب دافع الشر وسيكون نصيبه الدنيا والاخرة، بخلاف سيئ الخلق فهو لادنيا له ولا اخرة.

ولعلنا نتفق على ان الاخلاق السامية تمنح الانسان قدرة كبيرة على التسامح ومعاملة الاخر وفقا لقيمته العالية وكرامته الانسانية التي ينبغي على الجميع ان يحافظ عليها، لهذا حين يتحلى الانسان بالأخلاق الحقيقية القادرة على صيانة افعاله ونواياه، فانه سيتميز بالصفات العظيمة التي تجعله اشد ايمانا بحق الآخرين بالحياة الحرة الكريمة الامنة، فحسن الخلق هو ان تكون صادقا في الكلام، صابرا عند المكاره، تلقى الناس دائما ببشر الوجه وطلاقتة، وان تحلم بمن يسيئ اليك، والى غير ذلك من محاسن الاخلاق.

ولذا يتطلب الامر ان يرتقي الانسان بنفسه، وان ينحو صعوبة تهذيب الذات وتشذيبها من المساوي أيا كان نوعها او مصدرها، وطالما كان الصراع بين الانسان ونفسه، فانه صراع ينطوي على صعوبات جمّة، وعلى وفق ما تقدم يرى ايضا اية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله): ان الارتقاء في الاخلاق والفضائل اصعب من الاجتهاد في الفقه، وان ثمرته ونتيجته ابعد منالا واعسر حصولا من الفقه، وان رمزية الاخلاق لاتعني ان يتصنع الانسان سلوكه مع الآخرين، بل لابد ان تكون الاخلاق متأصلة في ذاته ونابعة منها، اما التصنع فهو مكشوف ولا يصمد طويلا، حيث ينكشف الوجه الحقيقي للإنسان، بعيدا عن غطاء التصنع، حيث المرء لا يلمس نتيجة سعيه الا عندما يصبح ذا قلب سليم وتصبح الاخلاق والفضائل ملكات لديه، عندها يشعر بلذة الاخلاق والوصول الى مراتبها العالية، وعندها يعرف قيمة ترويض النفس ومخالفة الشهوات.

وعلى وفق ذلك اقول: ان الاخلاق متجذرة عند الانسان بعدة مستويات تارة من خلال تربية الام والاب لطفلها وما يتأتى من هذه التربية من قيم اخلاقية وغرسها لدى الطفل وصلها حيث يقع العائق الاكبر على الام وكما قال الشاعر:-

الام مدرسة ان اعدتها.....اعدت شعبا طيب الاعراق

وتارة اخرى تكون القيم الاخلاقية مغروسة اصلا في ذات الانسان (اللاشعور) وكما نعرف ما يوجد عند الانسان من ثنائية الخير والشر فان طغى الخير على الشر اصبحت القيم الاخلاقية طاغية على الانسان مما يطلق عليه بـ (حسن الخلق) واذا كان العكس من ذلك يطلق عليه بـ (سيئ الخلق)، وبهذا ان الوعي الاخلاقي متجذر في طبيعة الانسان ذاتها، أي الوعي الاخلاقي يوجد في الفطرة والغريزة، ومن ثم فان الانسان يتجه طبيعيا الى قبول الخير ورفض الشر وكما قال الشاعر:

الخير في الناس مصنوع اذا جبروا.....والشر في الناس لا يغنى وان قبروا

ويتضمن هذا الفصل أسئلة وهي:

١- ما هي الأخلاق الحسنة؟

٢- وما هي مفرداتها العملية؟

٣- وكيف نطبقها؟

٤- وهل يمكن التحلي بها في هذا العصر الذي أفلت عنه القيم الأخلاقية؟

هذه الأسئلة قد أجاب عليها عمل الحسين (عليه السلام) . لأن الأخلاق الإسلامية التي تجسدت في سلوك الإمام الحسين (عليه السلام) تبينت معانيها ومفرداتها العملية وكيفية تطبيقها أيضا ، حيث كان (عليه السلام) في عصر قد ذهبت الأخلاق والقيم عن الناس ، لإدبارهم عنها ، عودة إلى الجاهلية الأولى ، وفي الظلام يرى الضياء متألثا جذابا ، وهكذا إنما تبقى علينا مسؤولية التحلي بهذه الأخلاق وفق الاجتهاد المفتوح على حدود الله بمفتاح العقل المتخلق بأخلاق الله ، ومهما تكون النفسية البشرية معقدة والتي جاءت المستحدثات العصرية لتزيدها عقدة وتعقيدا ، فإن الأخلاق العملية عند الحسين (عليه السلام) ليست عقيمة الحلول وعاجزة عن الأخذ بأيدينا إلى العروج نحو القيم المثلى . وذلك لوجود الفطرة النقية في باطن الإنسان وهي من الثوابت التي رسخها خالقها فيه كي تكون المرجع الأول والقاعدة الأساسية الصلبة لتلقي الخير واستلهاام الحكمة العملية وانطلاقة الإنسان الأخلاقية في كل عصر مع الاستقامة على مدلولاتها ، إن تلك الفطرة والتي تسمى عند الناس اليوم بالضمير وعند الفلاسفة بالعقل العملي لن تتغير ولن ترضخ لتوجيه صاحبها المخطئ وأنى لها ذلك وقد أراد الله لها أن تكون رسوله في باطن الإنسان إلى ساعة موته ، كما رسل الله العاملون من حوله ، إنهما رسالتان

متعانقتان متلاحمتان من رسولين متعاونين في داخل الإنسان وخارجه . فكما الرسول الظاهري لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، كذلك الرسول الباطني يتناغم مع تعاليم الوحي ولا يتنافر معها أبدا . ولذا أسس علماء أصول الفقه قولهم بأن (كل ما حكم به الشرع حكم به العقل ، وكل ما حكم به العقل حكم به الشرع) . ومن أدلتهم على ذلك الحديث الوارد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) : " إن لله على الناس حجتين ، حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول " . ومن وصاياهم (عليه السلام) أيضا قوله : " ما بعث الله أنبياءه ورسوله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله ، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا ، وأكملهم عقلا أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة " .

فالعلاقة بين العقل والأخلاق الحسنة علاقة الموجه والموجه . إن العقل هو الذي يدل إلى فهم الأخلاق الحسنة وطريقة الالتزام بها أيضا وتعريته ضده ، أي الجهل الذي يسقط صاحبه في الأخلاق السيئة . قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " الخلق المحمود من ثمار العقل ، والخلق المذموم من ثمار الجهل " .

وهكذا فتطبيق التعاليم الأخلاقية من خلال قيادة العقل المنفتح على الشرع أمر عملي في عصرنا ، فلا عذر للمتخلف عن القيم الأخلاقية الثابتة والمجربة في سلوك الهداة ، وليس التبرير بظواهر الزمان المتغيرة إلا هروب من المسؤولية الشرعية إلى عبادة الهوى . قال الله تعالى : *سلطان* (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) . فالسلوك الفردي والالتزامات الاجتماعية والأداب الشخصية فروع تنبثق من أصول القيم الأصيلة الثابتة ، مثل الصدق ، والصبر ، والعفة ، والحكمة ، والرحمة ، والوفاء ، والإخلاص ، والعدل ، من

يتعلم هذه الأصول سهلت عليه الفروع العملية بعون الله تعالى وكان توكله عليه إخلاصه له . الأخلاق أنجح التجارب في الإنقاذ ومثال ذلك هو إقلاع العرب عن الجاهلية والتناحر والتفرقة إلى أوج الحضارة الإنسانية والتعاون والألفة . . دليل لا يدانيه شك بأن الأخلاق الإسلامية التي تجسدت في سلوك النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأتباعه الأوفياء لازالت قادرة على الإنقاذ ما دام الالتزام بها مستمرا ذلك لأن القرآن والمشتركات التي تجمع شتات المسلمين وتمحي أسباب التفرق ، موجود بأيديهم ولم يدخله التحريف ، وهي أقوى منطلقات توحيدية القادرة على احتواء الخلافات الجزئية والأذواق المتباينة والأفكار المتعددة في الأمة الإسلامية الواحدة ، فكيف بإحتواء الخلافات داخل مذاهبها أو إحتوائها في دوائر أصغر منها ، كالتجمعات والعوائل والأفراد فإذا علمنا أن أسباب النزاعات والمشاحنات والانتكاسات تكمن في الأزمة الأخلاقية التي عصفت بالأمة على مختلف أصعدتها فإن علينا أن نعلم يقينا بأن فك هذه الأزمة محصور في ممارسة الأخلاق الإسلامية لا غير . أما قرأت ما قاله الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) : (فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

هذا ونتساءل : إذا كانت تعددية المذاهب والفرق ظاهرة طبيعية في جميع الأديان والمبادئ فكيف كان يتم التعامل والعلاقة بين المذاهب المختلفة ضمن الدين الواحد ؟ بالطبع ان مستوى وعي الإنسان بالقيم ومدى التزامه بالأخلاق الفاضلة ، هو الذي يحدد طريقة تعامله مع من يخالفه في الدين أو المذهب . . ذلك لأن الإيمان بقيمة الإنسان كإنسان ، وحقه في أن يعيش حرا كريما ، حسبما يشاء ويختار ، هذا الإيمان يفرض على صاحبه احترام إرادة الآخرين والاعتراف بحريتهم في اختيار أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم . . وللتربية الأخلاقية دورها الفعال والحاسم في تنظيم علاقة الإنسان بالآخرين وخاصة من يختلف معهم . ومؤلم حقا ما يحتفظ به التاريخ

من سجلات دامية لحالات الصراع والاضطهاد المتبادل بين أبناء الدين الواحد عند اختلاف مذاهبهم في فترات انحطاط الوعي وتدني المستوى الأخلاقي . وإذا كانت هناك أعداء تلتمس ، ومبررات تفتعل للصراع والعداء بين أتباع الأديان المختلفة المتناقضة ، فما هي مبررات الصراع بين أبناء الدين الواحد ، مع انتمائهم لعقيدة واحدة تجمعهم وإيمانهم بزعيم روحي واحد ، ومع وجود القواسم المشتركة ومجالات الاتفاق التي هي أوسع وأكبر من مساحة الاختلاف فيما بين مذاهبهم ؟ بالتأكيد لا سبب ولا مبرر ، إلا تفشي الجهل وتدني الأخلاق وتحريك المغرضين المصلحين من الخارج والداخل . فإلتفاف كل فرد حول المحاور المبدئية والقيم الأخلاقية ، ينتج التفاف الناس حول بعضهم وتماسك وحداتهم المتعددة في مواجهة الأخطار والتحديات ، لذلك خاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشيرته : " يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقومهم بطلاقة الوجه وحسن البشر " . وفي رواية أخرى يخاطب بها أمته : " انكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بأخلاقكم " وقال أيضا : " سوء الخلق شؤم ، وشراركم أسوأكم خلقا " وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أيضا : " حسن الخلق يثبت المودة " وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " حسن الخلق رأس كل بر " . وقال سلام الله عليه أيضا : " من حسنت خليقته ، طابت عشرته " . وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : " إن الله تبارك وتعالى خص رسوله بمكارم الأخلاق ، فامتحنوا أنفسكم ، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها . فذكرها عشرة : اليقين ، والقناعة ، والصبر ، والشكر ، والحلم ، وحسن الخلق ، والسخاء ، والغيرة ، والشجاعة ، والمروءة . ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) كذلك : " حسن الأخلاق يدر الأرزاق ، ويؤنس الرفاق " ويطالب المسلمين وخاصة شيعته الذين عقدوا الولاء بإمامته ، أن يجعلوا تنافسهم في العمل بالأخلاق التي يرتاح لها ضمير كل إنسان حتى غير المسلمين ، إذ يقول (

عليه السلام) : تنافسوا في الأخلاق الرغيبية، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة ، يعظم لكم الجزاء " . فالجزء العظيم والثواب الجليل يكمن في هذا التنافس الشريف ، وليس في الوضع منه ، الذي لا يلتقي مع الأحلام العظيمة والأهداف الكبيرة في الحياة . لقد أتم أهل البيت (عليهم السلام) الحجة على البشرية باتمامهم لمكارم الأخلاق على كافة المستويات وفي كل الحالات ، فلم يبقوا لتبرير الانسلاخ عن القيم الأخلاقية وسيلة إلا وهي مفضوحة ومردودة . أجل ، فلو درسنا الأخلاق الإسلامية ، وملئنا الأجواء بالحث عليها والترغيب في الالتزام بكل مفرداتها ، خاصة ما يتعلق منها بالجوانب الاجتماعية والأبعاد الحضارية- التي عبر عنها الإسلام بحقوق الناس- لتحولت حالنا إلى أحسن الأحوال ، وأصبح واقعنا يتحرك من الجيد إلى الأجود في كل مجال . ولقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) شاخصا له ثلاثة من أهم أعمدة الأخلاق الاجتماعية في الإسلام ، والتي إن تبناها الفرد المسلم ، قام بنيان المجتمع على أسس سليمة في العلاقات بين أفرادها ، يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) : " يا علي .. ثلاث من مكارم الأخلاق ، تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، تعفو عن ظلمك " . وعلى أساس هذه الوصايا الذهبية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، قام الإمام علي (عليه السلام) في التعامل مع الذين اختلفوا معه وناوئوه في حقه ومكانته . فلقد كافح الإمام علي (عليه السلام) لترشيد الخلافة من بعد رسول الله - قدر المستطاع - فلم يكن يتردد في إساءة النصح للخلفاء الثلاثة ، وهو في ذات الوقت يذكرهم بأخطائهم المهلكة ويؤكد على حقه في الخلافة كما أوصى به رسول الله ، وأحاديث السيرة في ذلك متواترة عن الصحابة من طرق المذاهب الإسلامية كلها . ولم يجانب الإمام (عليه السلام) تلك الأخلاق العظيمة حتى بعد أن انتخبه المسلمون خليفة لهم بالطلب والإلحاح عليه ثم أوقعه أهل الدنيا منهم في حروب داخلية في واقعة جمل والصفين

والنهران ، ولقد أكد التاريخ أنه (عليه السلام) مع ما كان عليه من مكانة عالية وقوة فائقة لم يتوسل بالمكر والخدع السياسية والقمع الدموي في نفي المعارضة ، بل رقى إلى أعلى درجات الأخلاق حتى أقر بذلك عدوه لاحقا وكيف يكون خارجا عن هذه السمات الأخلاقية الرفيعة من هو ميزان الحق والمجسد للأخلاق الحقة ، الذي كان متميزا عن غيره في كونه أول الناس إسلاما وإيمانا برسول الله ، لم يسجد للأصنام طرفة عين ، ولد في الكعبة بيت الله ، واستشهد في محراب صلواته ، وبينهما أخلص وجوده كله لله ، وهو صاحب الحكمة الحضارية الغالدة المنقذة للإنسانية المعذبة : " لو كنا لا نرجو جنة ، ولا نخشى نارا ، ولا ثوابا ولا عقابا ، لكان ينبغي لنا أن نطالب بمكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل النجاح " . حاجتنا إلى الأخلاق هي حاجتنا إلى الحياة !

أو تدري لماذا ؟

لأن الحياة المجردة عن أخلاقها الطيبة كآبة وضياح وحيرة ، وكم أدت هذه الحالة الميتة روحيا إلى الانتحار الجسمي ، أليس لأنه لا فرق بينهما إذا غاب طعم الأخلاق الطيبة عن الحياة ؟ يشترك الإنسان مع البهائم في الأكل والشرب والنوم ولذة الجنس وأحيانا كثيرة في الشكل وأعضاء الجسم والمتطلبات المادية ، ولكنه يفترق عنها في العلم والمعرفة والأخلاق والسلوك الإنساني إذا اكتسبه ، والباقي مشتركا معه في تلك الصفات البهيمية ، وكلما كان الإنسان أكثر عروجا وإقلاعا سماويا في فكره وفعله كلما صار أكثر ملائكيا وسعادة في حياته وبعد مماته ، وهنا هو ميدان سعيه المتواصل ومحك الاختبار له . والعجب كل العجب ، كيف يقبل الإنسان أن يتنفس الهواء ليعيش ولا يقبل أن يتحلى بالأخلاق ليسعد ويتنهأ من عيشه رغدا ؟

وان ما كتبه العلامة السيد مهدي الصدر في الجواب على السؤال المذكور قائلا :

سوء الخلق ، هو انحراف نفساني ، يسبب انقباض الإنسان وغلظته وشراسته ، نقيض حسن الخلق . من الثابت أن لسوء الخلق آثارا سيئة ، ونتائج خطيرة في تشويه المتصف به ، وخط كرامته ، ما يجعله عرضة للمقت والازدراء ، وهدفا للنقد والذم . وربما تفاقمت أعراضه ومضاعفاته ، فيكون حينذاك سببا لمختلف المآسي والأزمات الجسمية والنفسية المادية والروحية . وحسبك في خسة هذا الخلق وسوء آثاره ، أن الله تعالى خاطب سيد رسله ، وخاتم أنبيائه ، وهو المثل الأعلى في جميع الفضائل والمكرمات قائلا : سلطان (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) . من أجل ذلك فقد تساند العقل والنقل على ذمه والتحذير منه ، وإليك طرفا من ذلك : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : "عليكم بحسن الخلق ، فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة ، وإياكم وسوء الخلق ، فإن سوء الخلق في النار لا محالة" . وقال الصادق (عليه السلام) : "إن شئت أن تكرم فلن ، وإن شئت أن تهان فاخشن" . وقال الصادق (عليه السلام) : "إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل" . وقال (عليه السلام) : "من ساء خلقه عذب نفسه" . هذا وكما تمرض الأجساد وتعروها أعراض المرض من شحوب وهزال وضعف ، كذلك تمرض الأخلاق ، وتبدو عليها سمات الاعتلال ومضاعفاته في صور من الهزال الخلقي ، والانهيال النفسي ، على اختلاف في أبعاد المرض ودرجات أعراضه الطارئة على الأجسام والأخلاق . وكما تعالج الأجسام المريضة ، وتسترد صحتها ونشاطها ، كذلك تعالج الأخلاق المريضة وتستأنف اعتدالها واستقامتها ، متفاوتة في ذلك حسب أعراضها ، وطباع ذويها ، كالأجسام سواء بسواء . ولولا إمكان معالجة الأخلاق وتقويمها ، لحبطت جهود الأنبياء في تهذيب الناس ، وتوجيههم وجهة الخير والصلاح ، وغدا البشر من جراء ذلك كالحيوان وأخس قيمة ، وأسوأ حالا منه ، حيث أمكن ترويضه ، وتطوير أخلاقه ، فالفرس الجموح يغدو بالترويض سلس المقاد ، والبهائم الوحشية تعود داجنة أليفة . فكيف

لا يجدي ذلك في تهذيب الانسان ، وتقويم أخلاقه ، وهو أشرف الخلق ، وأسماهم كفاءة وعقلا ؟؟ من أجل ذلك فقد تمرض أخلاق الوداع الخلق ، ويغدو عبوسا شرسا منحرفا عن مثاليته الخلقية ، لحدوث إحدى الأسباب التالية :

١- الوهن والضعف الناجمان عن مرض الانسان واعتلال صحته ، أو طروء أعراض الهرم والشيخوخة عليه ، مما يجعله مرهف الأعصاب عاجزا عن التصبر ، واحتمال مؤون الناس ومداراتهم .

٢- الهموم ، فإنها تذهل اللبيب الخلق ، وتحرفه عن أخلاقه الكريمة ، وطبعه الوداع .
٣- الفقر ، فإنه قد يسبب تدهم الفقير وغلظته ، أنفة من هوان الفقر وألم الحرمان ، أو حزنا على زوال نعمته السالفة ، وفقد غناه .

٤- الغنى ، فكثيرا ما يجمع بصاحبه نحو الزهو والتهيه والكبر والطغيان ، كما قال الشاعر : لقد كشف الإثراء عنك خلائقا سلطان من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

٥- المنصب ، فقد يحدث تنمرا في الخلق ، وتطاولا على الناس ، منبعثا عن ضعفة النفس وضعفها ، أو لؤم الطبع وخسته .

٦- العزلة والتزمت ، فإنه قد يسبب شعورا بالخيبة والهوان ، مما يجعل المعزول عبوسا متجهما .

وحيث كان سوء الخلق من أسوأ الخصال وأخس الصفات ، فجدير بمن يرغب في تهذيب نفسه ، وتطهير أخلاقه من هذا الخلق الذميم ، أن يتبع النصائح التالية :

١- أن يتذكر مساوىء سوء الخلق وأضراره الفادحة ، وأنه باعث على سخط الله تعالى ، وازدراء الناس ونفرتهم .

٢- أن يستعرض فضائل حسن الخلق ، ومآثره الجليلة ، وما ورد في مدحه ، والحث

عليه ، من آثار أهل البيت (عليهم السلام) .

٣- الترييض على ضبط الأعصاب ، وقمع نزوات الخلق السيئ وبوادره ، وذلك بالترثيث في كل ما يصدر عنه من قول أو فعل ، مستهديا بقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) : " أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه " .

وتتحقق هذه الضمانة والمناعة من خلال المرتكزات الأربعة التالية :

١- أن يعرف الإنسان قيمة نفسه ، فإن الوجود إذا غلى عند صاحبه عرف كيف يتصرف مع الغالي وأين يضعه . قال تعالى : سلطان (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون)

٢- أن يستأنس عمليا بذكر الله ويلهج لسانه بالتسبيح والاستغفار ويكون واعيا لأبعاد ذلك .

٣- أن يرسل الإنسان نظره إلى الآخرة ، ويراقب ما يقطع عليه طريقه إلى الجنة . قال الله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)

٤- أن نصغي إلى أحاديث قادتنا المعصومين (عليهم السلام) حول الأخلاق ، والتطبيقية منها خاصة ، فقد قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في الحث على ذلك وزرع الحوافز الأخلاقية : " الإسلام حسن الخلق " .

المبحث الثالث :

يتناول هذا الفصل التطبيقات الأخلاقية

١- في الاهتمام بأخلاق الشباب وأخبار المجتمع

إن من أهم واجبات الإمام هو رعاية المجتمع الإسلامي عن كذب ، وملاحظة كل صغيرة وكبيرة في الحياة الاجتماعية ، ورصدها ، ومحاولة إصلاحها وإرشادها ،

ودفع المفسد والأضرار بالأساليب الصالحة ، وبالإمكانات المتوافرة ، دعماً للأمة الإسلامية ، وحفظاً للمجتمع من الانهيار أو التصدع . وقد ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) حديث مهم يدل على عمق اهتمام الإمام بهذا الأمر الهام : قال جعيد الهمداني : أتيت الحسين بن علي ... فسألني ، فقال : " أخبرني عن شباب العرب ؟ " قلت : أصحاب جلاهقات ومجالس ! قال (عليه السلام) " فأخبرني عن الموالي ؟ " قلت : آكل ربا ، أو حريص على الدنيا ! قال (عليه السلام) : سلطان (إن الله وإنه راجعون) سلطان " والله ، إنهما للصنفان اللذان كنا نتحدث أن الله تبارك وتعالى ينتصر بهما لدينه . يا جعيد همدان : الناس أربعة : فمنهم من خلاق ، وليس له خلق . ومنهم من له خلق ، وليس له خلاق . ومنهم من ليس له خلق ولا خلاق ، فذاك أشرف الناس ومنهم من له خلق وخلاق ، فذاك أفضل الناس " .

سلطان الدروس المستفادة هنا :

١ - الاهتمام بالأمور الثقافية والتربوية للشباب .

٢ - تتبع أخبار المجتمع والتطورات فيه .

٣ - ضرورة التشاور في الإصلاحات الاجتماعية .

٤ - من الجدير إخبار العالم والمصلح بما يدور في المجتمع .

٢ - مفاهيم أخلاقية ثلاثية

مفاهيم أخلاقية ثلاثية : " النصيحة " ، " طلب الحق " و " صدق الحديث " امتزجت مع كرامة الإعجاز الإلهي التي خص بها أوليائه لتثبيت مكانتهم في قلوب المؤمنين ، وإلتزام الحجة على الذين لا يفقهون رسالة الله في الحياة . فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال : إن الحسين (عليه السلام) إذا أراد أن

ينفذ غلمانة - أي عماله - في بعض أموره ، قال لهم : " لا تخرجوا يوم كذا وأخرجوا يوم كذا ، فإنكم إن خالفتموني قطع عليكم " .. أي هاجمكم قطاع الطريق .. فخالفوه مرة وخرجوا فقتلهم اللصوص ، وأخذوا ما معهم ، واتصل الخبر بالحسين (عليه السلام) ، فقال : " لقد حذرتهم فلم يقبلوا مني " . ثم قام من ساعته ودخل على الوالي ، فقال الوالي يا أبا عبد الله بلغني قتل غلمانك ، فأجرك الله فيهم . فقال الحسين (عليه السلام) : " فإني أدلك على من قتلهم فاشدد يدك بهم " . قال : أوتعرفهم يا ابن رسول الله ؟ قال : " نعم كما أعرفك وهذا منهم " ، وأشار بيده إلى رجل واقف بين يدي الوالي . فقال الرجل : ومن أين قصدتني بهذا ؟ ! ومن أين تعرف أني منهم ؟ ! فقال له الحسين (عليه السلام) : " إن أنا صدقتك تصدقني ؟ " فقال الرجل : نعم والله لأصدقنك . فقال (عليه السلام) : " خرجت ومعك فلان وفلان " ، وذكرهم كلهم - بأسمائهم - ، فمنهم أربعة من موالي المدينة والباقون من حبشان (١) المدينة فقال الوالي للرجل : ورب القبر والمنبر لتصدقني أو لأهرأن (٢) لحمك بالسياط . فقال الرجل : والله ما كذب الحسين (عليه السلام) وقد صدق ، وكأنه كان معنا ، فجمعهم الوالي جميعا فأقروا جميعا ، فضرب أعناقهم . وهنا ليس للعفو مورد ، لأن القصاص إحياء للحق وحياة للمجتمع ، تنمو به الأخلاق الحميدة ولا يجد معها القتلة والمجرمون مدخلا إلى أغراضهم الدنيئة مضافا إلى أن العفو لا يجري في حقوق الآخرين . والإمام (عليه السلام) هنا في موقف التأديب الشرعي وتسديد الحق لذوي المقتولين ، إنه موقف أخلاقي منه مع رعاية كل الجوانب الشرعية .

سلطان الدروس المستفادة هنا :

١ - ما دام لا يتوجه إلى الفرد ضرر عقلائي لا بد له أن ينصح حتى ولو كان لا يرى

مستمعه أهلا للنصيحة . ذلك لأن الانسان مهما كان فإن ضميره يلتقط النصائح ويخترنها للساعة المناسبة .

٢ - كذلك لا بد من القصاص في حال الإمكان ليقطع دابر الجريمة .

٣ - إن الله تعالى جعل النجاة في الصدق ، والهلاك في الكذب .

٣ - في آداب السلوك إلى الله :

عن الباقر (عليه السلام) قال : قال علي بن الحسين (عليهما السلام) : مرضت مرضاً شديداً ، فقال لي أبي (عليه السلام) : " ما تشتهي ؟ " فقلت : أشتهي أن أكون ممن لا أقترح على الله ربي ما يدبره لي . فقال (عليه السلام) لي : " أحسنت ، ضاهيت إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ، حيث قال جبرئيل (عليه السلام) هل من حاجة ؟ فقال : لا أقترح على ربي ، بل حسبى الله ونعم الوكيل " . وهنا يعلمنا الحسين (عليه السلام) في عيادته لابنه علي السجاد أخلاقية العيادة وفن الكلام مع المريض ، وترى ابنه العزيز وربيبه الكامل كيف لا يرغب لنفسه إلا ما يرغب له ربه ، ولا يشتهي حتى الاقتراح على الله العالم بمصلحته الواقعية ، وهكذا فمن غير الأدب أن يقترح الإنسان على هذا الإله العليم الرحيم شيئاً والله أعلم بما يصلحه ، ولذلك كان من أدعية العرفاء الصالحين : " اللهم افعل بي ، ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله " . نرجو أن نتعلم هذه الأخلاق المعنوية ونتأدب بآداب الحسين وأبنائه البررة في السلوك إلى الله تعالى ، حيث هذا الأدب ينعكس أيضاً على معاشرتنا الانسان مع الناس .

سلطان الدروس المستفادة هنا :

١ - أهمية عيادة المريض ، وما لاختيار الكلمات الصحيحة في الحديث معه من أثر نفسي على شفائه .

٢- واجب المؤمن أن يسلم أمره إلى الله في كل الحالات ، فذلك ما يبديل حاله إلى أحسن حال بإذن الله الذي بيده الخير وهو على كل شئ قدير .

الخاتمة:

توجد عند بعض الناس أفكار خاطئة عن القضايا الأخلاقية يزعمونها صحيحة ، وإذا كان البعض يخشى أن يصححها لهم فإن المراجع العظام وأهل البيت ما كانوا ليخشوا من كلمة الحق ، إلا أنهم لم تسمح لهم أخلاقهم الفاضلة أن يقولوا جافة دون رعاية الأدب . وهذا هو الزاوية الهامة في الأخلاق التي ندعو إليها ، أن تقول الحق في ثوبه الأخلاقي . فالأخلاق الإلهية تقضي بالمعروف إلى كل مستحق له . فكم من معروف أسدي إلى غير أهله فجعله من أهله واهتدى . ثم لانسى إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ؟ فلا مجاملة على حساب إبداء الحقيقة وبيان الصحيح في الأمور الهامة . ولا بد من احتواء جميع الناس وإرادة الخير لهم دون التمييز القومي والعنصري والفتوي إلا إذا كانت الإمكانيات محدودة أو خاصة بهم شرعا ، حيث تجب رعاية الأولويات .

المصادر:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) ، البحراني ، عبد العظيم ، ط الأولى / انتشارات الشريف الرضي للنشر، قم ، ايران، ٢٠٠١ .
- ٣- الحسين عليه السلام سماته وسيرته، الحسيني ، محمد رضا ، ترجمة الشامي ، ابن عسكر، دار المعروف للطباعة والنشر.
- ٤- مجلة الاصلاح الحسيني، احمد علي الخفاجي، العدد ٢٠١٢، ١٧ .
- ٥- الاخلاق: احمد امين، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٣١ م

٦- الاخلاق الاسلامية واسسها: عبد الرحمن حبنكة الميداني، مكتبة الابداع، القاهرة- مصر، ٢٠٠٨ م.

٧-بحار الانوار: محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٣٠٥ هـ.

٨-حديث ايوب السختياني: ايوب السختياني، مكتبة الابداع، القاهرة - مصر، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨ م.

٩-ديوان احمد شوقي (الشوقيات): احمد شوقي، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٩ م.

١٠-ديوان الامام علي بن ابي طالب - عليه السلام: علي بن ابي طالب (ع)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار ابن زيدون، لبنان، (د-ت).

١١-ديوان حافظ ابراهيم: حافظ ابراهيم، دار العودة، بيروت- لبنان، ١٩٩٦ م.

١٢-ديوان معروف الرصافي: معروف عبد الغني الرصافي، شرح وتصحيح: احمد السقا، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ط ٤، ١٩٥٣ م.

١٣-العقد الفريد: احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دارالكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٣ م.

١٤-القبسات: اية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلّه) مؤسسة الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم الثقافية، قم المقدسة- ايران، ط ١، ١٤٣٤ هـ.

١٥-لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي - ابو الفضل - جمال الدين ابن منظور الانصاري، دار صادر، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

١٦-مؤلفات جبران خليل جبران (العربية): جبران خليل جبران، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

١٧-مرأة العقول في شرح اخبار ال الرسول: محمد باقر المجلس، تصحيح وتحقيق:

السيد هاشم المحلاتي واخرون، دار الكتب الاسلامية، طهران - ايران، (د-ت).

الملخص:

يعد تعليم القيم الفاضلة والتي هي أحكام وقواعد وأعراف ربانية المصدر متناسقة وواقعية توافق طبيعة الإنسان وتتوجه إلى تنمية الفرد في عقله وبدنه وزوجه ونفسيته، والتربية فيها تكون بالتدرج والاستمرار والثبات بحسب المرحلة العمرية وبحسب تقبل تلك التربية، فالرجوع إلى المرجعية الدينية للاهتمام بالتربية القيمية أمر حضت عليه المرجعية الدينية جميعها ، وحتى السياسية والقانونية والبيداغوجية عالمياً؛ ففي القرآن الكريم ذكر الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

المرجعية الدينية هي الامتداد الحقيقي اللازم للإمامة، التي تشكل بدورها الامتداد الطبيعي للنبوّة في أبعادها المختلفة، وخاصة في بعديها العقائدي والسياسي، وقد رسم هذا الامتداد للمرجعية الطريقة التي تنتهجها وتسلكها للتعامل مع جميع الظروف والأوضاع، بما فيها الأوضاع والظروف السياسية، وحسب الشروط والخطوط التي وضعها أهل البيت عليهم السلام، فقد مرّ أهل البيت عليهم السلام بمراحل وأدوار ذات ظروف وعوامل مختلفة، جعلتهم يتصرفون مع تلك الظروف بما يتلاءم مع شروط كل مرحلة ودور. وبما أن المرجعية الدينية هي الامتداد الطبيعي للإمامة؛ فإن عملها يجب أن يكون في ظل ما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام من أدوار ومواقف مختلفة. لقد تقلدت المرجعية الدينية وظائف وواجبات عديدة جعلتها تحمل أمانة

الرسالة المحمدية، ومارست الأدوار والمواقف والمراحل ضد حركة الانحراف والتدهور مثلما مارسها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وإن حركة علماء الدين والمراجع على المستويين الفكري والميداني تهدف إلى الهدف ذاته، فهم يسعون جاهدين إلى الحفاظ على حياة الناس أولاً (القيم العظمى)، فهو هدف كل المصلحين، وأول أولوياتهم على اختلاف توجهاتهم، وإذا كان الهدف والغاية من كل دين أو نظرية إنسانية هي حياة الإنسان، فمعنى ذلك أن كل ما يوفر للإنسان والإنسانية السلام والحياة الحرة الكريمة، هو هدف العلماء والفلاسفة والأديان والأفكار. أن دورها يعني الإشراف على شؤون المؤمنين الروحية والعبادية والاجتماعية، وهي تكليف وليس تشريف، وهي قبل كل شيء مقام ديني اجتماعي وليست مركزاً سياسياً؛ وأكدت المرجعية على أهميه النظرية الاسلامية: (في النظرية الاسلامية واحاديث اهل البيت (عليهم السلام) نجد للاخلاق دورا مهما جدا، وتمثل القاعدة الثانية من حيث الاهمية بعد العقيدة بالنسبة إلى البناء الاجتماعي وإلى الحركة الاجتماعية) مقسما هذا الركن إلى اربعة اقسام:

الاول: الاخلاق ذات العلاقة بالسلوك الشخصي والسيرة الذاتية للأفراد.

الثاني: الاخلاق الاجتماعية وهي: الاخلاق ذات الارتباط بالناس، وكيفية التعامل معهم ومداراتهم، وهو قسم موجود في بحوث وكتب الاخلاق.

الثالث: الاخلاق السياسية: وهي الاخلاق التي لها علاقة بالعمل السياسي والاجتماعي وادارة عملية التغيير، والمواجهة مع قوى الظلم والاستكبار والفساد.

الرابع: اخلاق الصفوة، التي لا بد أن تتصف وتتميز بها عندما يتم اعدادها.

نحن من شيئين الروح والبدن ، وإذا كنا نعلم طريقنا إلى غذاء أبداننا فهل نتعلم طريقنا إلى غذاء أرواحنا الأهم أيضا ؟ فما هو هذا الغذاء الأهم ؟ انه الأخلاق الحسنة ،

والتي لا يختلف اثنان في حاجة الإنسان إليها ، حتى ذلك المنسلخ عنها تجده يغضب عليك إن صارحته بحاله ، وربما طالبك بها وهو يعلم نفسه انسلاخها عنها ! فهذا أبسط دليل على حاجة الإنسان الملحة والفطرية إلى الأخلاق الحسنة ، فإذا كانت الأخلاق حاجة ملحة وفطرة ثابتة ، فما هو الذي نفتقر إليه في سبيل العلاج والإنقاذ ؟ نفتقر إلى هداة رسموا لنا جمالية الأخلاق الجذابة إلى الخير كله سواء بكلماتهم الوضاعة أو سيرتهم المضيئة ليكونوا القدوات الصالحة للتأسي ، وهؤلاء الذين بهذا المستوى الرفيع والذين يسدون فقرنا الأخلاقي ويعيدون إلينا توازناتنا الروحية هم النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وكل من أخذ من رياضهم الزاهر . وفي سيرة الحسين (عليه السلام) سبط النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأبي الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) إشراقات أخلاقية رائعة ، قد جاء ذكرها في كتب التاريخ والحديث والأخلاق متناثرا .

معالم الإصلاح المجتمعي في استراتيجية المرجعية الشيعية

أ.م. د عدنان عباس يوسف البطاط

م.د شاكر عطية ضويحي الساعدي

المقدمة:

لقد أولت المرجعية الدينية الشيعية _ على وجه الخصوص _ أهمية كبيرة للإصلاح المجتمعي، بل جعلت ذلك من أولى اهتماماتها وأهدافها الخاصة؛ وذلك بمقتضى مسؤوليتها الشرعية والإنسانية؛ إذ إنها ترى بأن عدم تحقيق ذلك الإصلاح لا تستطيع أن تحقق سائر أهدافها الأخرى التي تنتهي بإيصال الإنسان إلى غايته التي خلق من أجلها في الوصول إلى كماله المطلق وتحقيق سعادته الكبرى؛ فمن واجب المرجعية الدينية بحكم وظيفتها ومسؤوليتها اتجاه الإنسان أن تتمكن في بلوغ ذلك، وأن تزيل جميع العراقيل والموانع عن طريقه، ولذا فقد دأبت جاهدة في تحقيق هذا الأمر من خلال استراتيجية خاصة اتبعتها في إصلاح المجتمع الإسلامي عامة، والشيعي خاصة، فكان لها تاريخاً مشرقاً حافلاً بمظاهر ومعالم الإصلاح المجتمعي، بحكم موقعها ومسؤوليتها في المشروع الإسلامي في عصر الغيبة الكبرى، وقد كان من بين تلك المعالم الإصلاحية ما يرتبط بالإصلاح الفكري والأخلاقي والثقافي والتربوي والتعليمي والسياسي مع دحض الأباطيل ومحاربة الخرافات وتقويم الانحرافات في الدفاع عن الدين الإسلامي المحمدي الحنيف.

وهذا ما سنتناوله من خلال عرض معالم الإصلاح المجتمعي في استراتيجيتها في عصر الغيبة الكبرى، ليتبين لنا بعد ذلك حجم المسؤولية ومدى قدرتها في الإصلاح والبناء، وذلك من خلال بيان مفهوم الإصلاح المجتمعي وأساسه، ثم عرض هذه الاستراتيجية الخاصة للمرجعية الشيعية في تاريخها العلمي والاجتماعي في اتخاذ

التدابير اللازمة ورسم الخطط الناجمة في تحقيق أهداف الدين الإسلامي وتطلعاته نحو مستقبل مشرق حافل بالتقدم الحضاري وبناء شخصية الإنسان بما ينسجم بمقامه وتحقيق سعادته في الدارين وتبليغ رسالته الإنسانية والإلهية باعتباره خليفة الحق تبارك وتعالى في الأرض وآيته العظمى.

وهذا مما يتطلب أن نتصفح أوراقها التاريخية ومسيرتها العلمية والعملية بنظرة اعتبار وتأمل دقيقة؛ ليتسنى لنا ذلك بيان صور ومعالم هذه الاستراتيجية التي يندر وجودها في المرجعيات الأخرى.

المبحث الأول: الإصلاح على المستوى الفكري والثقافي

مما لا شك فيه أن دور المرجعية في البناء الفكري للأمة الإسلامية، وبيان وشرح أسس العقيدة وركائز الثقافة الإسلامية، يعتبر من الأدوار المهمة والحساسة جداً، لما للفكر من الآثار العظيمة على جميع مسائل الحياة، بل يمكن القول بان الفكر يمثل الأساس الذي تقوم عليه الشريعة في كافة جوانبها، بحيث لو أختل البعد الفكري، فانه سيؤدي إلى خلل عام على جميع المستويات، وهذا ما يؤكد أهمية الحفاظ على هذا الجانب وتفعيله في الأمة بما يتطابق مع أهداف الإسلام.

إن السير بهذا الاتجاه يتوقف على الإشراف الصحيح للمرجعية الدينية على حركة الأمة بما يتوافق مع الأصول والمبادئ الأصلية التي تؤخذ من المصادر المعتمدة، ويتوقف أيضاً على رجوع المجتمع إليها لأنها هي من استوعب التعاليم الإلهية الحقة وعملت لأجل الحفاظ عليها، وتواصلت مع البحوث والدراسات المعمقة منذ زمن الرسول(صلى الله عليه وآله) والعترة الطاهرة، وإلى يومنا هذا .

وبهذا يتضح الدور التي تقوم به المرجعية الدينية في البعد الفكري والعقدي، حيث إنها تقوم بالأشراف على الحركة الفكرية والثقافية، وتسعى لأن تكون الحالة الفكرية متطابقة مع المناهج العلمية المقررة، لتكون عملية استمرار لما انتهت له

الأبحاث المعمقة، وذلك من خلال توجيه الأمة والارتباط بها، ومن خلال التنبيه على الأساليب القاصرة أو الخاطئة؛ إذ إن السير بلا توجيه ولا إشراف سيؤدي إلى الفوضى الفكرية، وإلى إتباع المناهج القاصرة والخطئة، وبالتالي نقض أهداف الحركة الثقافية والعقائدية وإعاقة التقدم العلمي، وهذا هو الدور الذي تقوم به المرجعية على المستوى العقائدي بالإجمال، ولا بأس بان نتحدث عنه بشيء من التفصيل، حيث يمكن القول بأن المرجعية لأجل أن تقوم بدورها الضروري ولأجل الإشراف على الواقع الفكري والعقائدي للأمة، فإنها تمارس ذلك من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: طرح الأصول الاعتقادية والفكرية

هذا الطرح ينبغي أن يكون طرحا صحيحا ومتطابقا مع المصادر المعتمدة، ومنسجما مع الوسائل المعتمدة لمتطلبات الواقع الحياتي، وبأسلوب الذي تقتضيه الظروف والمتغيرات، فإذا لم تتصد الجهة المسؤولة المتمثلة بالمرجعية الدينية لهذا الجانب، فمن الطبيعي حينئذ أن يفتح المجال على مصراعيه أمام الشبهات والأطروحات المغلوطة والفهم القاصر لما في الكتاب والسنة، وستشق الرؤية المنحرفة غير المبنية على أسس علمية طريقها في المجتمع؛ وذلك لأن الفكر والعقيدة حاجة طبيعية ملحة يقتضيها الطبع الإنساني بفطرته، فالإنسان مفطور على التفكير ويشعر بحاجته إلى التعرف، وإذا لم يتحرك في تفكيره على أسس علمية صحيحة فإنه سيؤدي به نحو التخبط والخلط، ونحو نتائج غير متطابقة مع الواقع، ولا يختص ذلك بالمسائل الدينية، بل يشمل جميع المسائل الحياتية، ففي القضايا التي تتطلب المختصين إذا لم يتصد له ذوو الاختصاص، فإنه يؤدي إلى التأخر والتخلف والوقوع في المفسد، بخلاف ما لو تصدى ذوو الاختصاص، فإن ذلك يؤدي إلى وضوح القضايا ذات الصلة بالاختصاص، وتبلورها، وتكامل الأفكار بشكل منظم وصحيح. هذا ما قامت به المرجعية الشيعية وفق منهج وفكر أهل البيت (عليهم السلام) الذين يمثلون

الخط الصحيح والفكر السليم للدين الإسلامي، فقد ساهمت المرجعية بدور كبير في طرح الأصول الفكرية والاعتقادية من خلال إمكاناتها الفعلية، كتصنيف المصنفات، أو الأشراف على تدوينها، وكالأشراف على دور المبلغين، والتأكد من كفاءتهم، وتمكنهم من المعلومات واستيعابهم لها بدقة وعمق وشمولية، حتى يمكنهم تأمين الخطاب الديني الصحيح، والمترايط الذي يغطي كافة الاحتياجات الفكرية التي يحتاجها المجتمع بالفعل.

الثاني: التصدي للإطروحات القاصرة أو المنحرفة

لقد نشأت هذه الإطروحات بسبب الاشتباه، أو بسبب التأمير الثقافي، الذي يقوم به أعداء الإسلام لأجل السيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية، وهنا قامت المرجعية بواسطة النقد الموضوعي، أو بكشف هوية الأعداء للناس، أو غير ذلك، حسب ما تقتضيه المصلحة، وبلحاظ ما يتطلبه الظرف الذي تطرح فيه القضايا المغلوطة والمنحرفة، لأنه بدون هذا التصدي سيحصل الضياع لا محالة في صفوف المسلمين، وسيتسع بحيث لا يتمكن الناس من تمييز الحق من الباطل، كما أن الأمر سيؤدي بالنتيجة إلى أن يتحمل الفقهاء المخلصون تبعات الطرح المنحرف، وينتهي إلى توهم أقرارهم لتلك المسائل.

ولهذا نجد أن الفقهاء عبر التاريخ — مضافا لقيامهم بدور التوجيه وبيان الأصول الاعتقادية — كانوا يتصدون ويقوه لذوي الأفكار المنحرفة، سواء من الداخل، أو من الخارج، كما هو ظاهر في تصديهم بما أتيح لهم من إمكانات، وحسب تشخيصهم لقابلية التغيير لأطروحات الغلاة والنواصب، وللملحدين وذوي الاتجاهات المنحرفة على اختلاف انتماءاتهم، وإن كانوا يواجهون أثناء قيامهم بذلك الدور عوائق وموانع تحد من حركتهم، أو تفضي عليها شيئا من التعقيد، كالاصطدام ببعض الأعراف والتقاليد المتجذرة، التي قد تكون أحيانا في قوة الدين،

بل قد يتوهم الناس أنها من الأصول، كما كانوا يواجهون الظروف السياسية الصعبة التي تقترن مع القمع والمواجهات، بحيث لا يتمكن الفقيه من ممارسة دوره بحرية، ولكنهم مع ذلك يقومون بالتصدي للانحرافات حسبما تقتضيه المعطيات الفعلية للدور الذي يقومون به، ولذا فان التاريخ يشهد لكثير من المصلحين والذين تصدوا للأفكار المنحرفة أنهم تحملوا لأجل ذلك كثيرا من التبعات الثقيلة، كالسجن والتعذيب، أو النفي، أو غير ذلك، بل قد يؤدي التشخيص إلى اختيار التضحية بالنفس من اجل مواجهة الفكر المنحرف، كما نجد ذلك واضحا في نهضة سيد الشهداء أبي عبد الله (عليه السلام)، وقد اعتبر أن ما قام به ليس إلا لأجل الإصلاح في أمة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهكذا نجد ذلك في شواهد يورخها التاريخ في صفحاته المشرقة عند تعرضه لحياة الذين قدموا أنفسهم قربانا لله تعالى من أجل الدفاع عن الحقيقة، كالذي حصل للشهيد الصدر الاول آية الله العظمى السيد محمد باقر (قدس) على أيدي جبابرة البعث وطواغيته، ولسائر شهداء الآخرين من أسرة آل الصدر وآل الحكيم وآل شبر وغيرهم من شهداء الحوزة العلمية وعلمائها.

المبحث الثاني: على المستوى التربوي والتعليمي

لقد عملت المرجعية الدينية في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على إقامة المؤسسات الفكرية والتربوية، والإشراف على حركتها، والعمل على توجيه كافة قطاعات الأمة، حسب التمكن نحو الارتباط بتلك المراكز والمؤسسات، مضافا الى القيام بتوجيه الأمة نحو تفعيل دور المواقع التي لديها من المساجد وغيرها في خدمة الهدف التربوي والثقافي، ومتابعة سير تلك المؤسسات لأجل ضمان سيرها الفكري على النهج التربوي الصحيح.

وهذا الأمر قامت به المرجعية الدينية في حدود ما لديها من الامكانيات، ولا شك بان زيادة الوعي وتفاعل الأمة مع الجهة التي تشكل محور العمل الإيماني يمكن المرجعية من خلال الأمة بتكامل مثل هذه الأعمال^(١).

وقد ذكر السيد الشهيد الصدر(قدس) في مقام بيان أهداف المرجعية الصالحة، حيث قال: (ويمكن تلخيص أهداف المرجعية الصالحة رغم ترابطها وتوحد روحها العامة في خمس نقاط:

١- نشر أحكام الإسلام على أوسع مدى ممكن بين المسلمين، والعمل لتربية كل فرد منهم تربية دينية تضمن التزامه بتلك الأحكام في سلوكه الشخصي.

٢- إيجاد تيار فكري واسع في الأمة يشتمل على المفاهيم الواعية من قبيل المفهوم الأساسي الذي يؤكد بان الإسلام نظام كامل لشتى جوانب الحياة، واتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيبة تلك المفاهيم.

٣- إشباع الحاجات الفكرية للعمل الإسلامي، وذلك عن طريق إيجاد البحوث الكافية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والمقارنات الفكرية بين الإسلام وبقية المذاهب الاجتماعية، وتوسيع نطاق الفقه الإسلامي على نحو يجعله قادرا على مد كل جوانب الحياة بالتشريع، وتصعيد الحوزة ككل إلى مستوى هذه المهام الكبيرة.

٤- القيمومة على العمل الإسلامي والإشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مفاهيم وتأييد ما هو حق منها وتصحيح ما هو خطأ.

٥- إعطاء مراكز العالمية من المرجع إلى أدنى مراتب العلماء الصفة القيادية للأمة بتبني مصالحها والاهتمام بقضايا الناس واحتضان العاملين في سبيل الإسلام.

ووضوح هذه الأهداف للمرجعية وتبينها وأن كان هو الذي يحدد صلاح المرجعية ويحدث تغييرا كبيرا على سياستها العامة ونظراتها إلى الأمور وطبيعة تعاملها مع الأمة، ولكن لا يكفي مجرد وضع هذه الأهداف ووضوح إدراكها لضمان الحصول على أكبر قدر ممكن من مكاسب المرجعية الصالحة، لأن الحصول على ذلك يتوقف - إضافة إلى صلاح المرجع ووعيه واستهدافه - على عمل مسبق على قيام المرجعية الصالحة من ناحية، وعلى إدخال تطويرات على أسلوب المرجعية ووضعها العملي من ناحية أخرى^(٢).

المبحث الثالث: على المستوى السياسي والاقتصادي

عندما ننظر نظرة إجمالية إلى أحكام الإسلام نجدها شاملة لجميع شؤون المجتمع، سواء على مستوى الأحكام العبادية والاجتماعية والحقوقية والاقتصادية، وكل هذه الأحكام لا يمكن تحقيقها إلا من خلال حكومة إسلامية عادلة، ومما هو ثابت أن جميع الأحكام الإلهية بمختلف أشكالها لم تنسخ بعد رحيل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى الرفيق الأعلى وذلك باتفاق الجميع، وإنما هي باقية إلى يوم القيامة (حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدا إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجئ غيره)^(٣)، ونفس بقاء تلك الأحكام يقتضي ضرورة تشكيل حكومة إسلامية تحقق سيادة القانون الإلهي وتكفل بإجرائه، ولا يتأتى ذلك من غير قيام تلك الحكومة.

ثم إن نفس الضرورة التي كانت في زمن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والتي دعت إلى تأسيس الحكومة الإسلامية، وهي هداية الأمة والوصول بها نحو الكمال المطلق، هي نفسها باقية وثابتة لا تزول، فإذا لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) موجودا فيقوم من بعده خليفته ووصيه على هذه الأمة، وهكذا حتى الإمام الثاني عشر الغائب (عليهم السلام)، ففي غيبته لم يترك الأمة من غير تشخيص تكليفهم

فقد أرجع الناس إلى الفقهاء العدول الجامعين للشرائط المعتبرة في التقليد، وقد تسالم الفقهاء على وجوب حفظ النظام بحكم العقل والشرع، لأن اختلال أمور الناس مما هو مبغوض عند الله تعالى، ويجب حفظ ثغور المسلمين وحمائتهم وحمائية أوطانهم، وكل ذلك لا يمكن إلا من خلال إيجاد حكومة إسلامية عادلة. وبناء على ثبوت ولاية الفقيه بالأدلة التي ذكرها من يقول بها، وأن ولايته عامة في جميع شؤون الأمة، تلك الولاية التي كانت للإمام المعصوم (عليه السلام) وهي رئاسة الدين والدنيا، فله ما كان للإمام (عليه السلام) من إقامة الجمعة والجماعة مع بسط اليد، والأمر بالجهد والدفاع عن الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجراء الحدود، والقضاء، والإفتاء، وأخذ الخمس والزكوات، وتولية أمر القصر والغيب والأوقاف العامة وغير ذلك مما يتطلبه أمور المجتمع، فإن إحدى وظائف الفقيه هي إقامة الحكومة الإسلامية التي يتمكن الفقيه من خلالها إقامة الأحكام الشرعية الملقاة على عاتقه، قال السيد الإمام الخميني (قدس): (الفقهاء هم القائمون بها والمراقبون لجميع الأمور التنفيذية والإدارية، وإدارة التخطيط في البلاد، الفقهاء أمناء في إجراء الأحكام الإلهية، وأمناء في استلام الضرائب، وحفظ الثغور، وإقامة الحدود. فلا يجب أن يتركوا قوانين الإسلام معطلة) (٤).

وحتى القائلين بعدم الولاية في عصر الغيبة للإمام الحجة (عليهم السلام) لأحد فإنهم جوزوا للحاكم الشرعي إقامة الحدود، ومما لا شك فيه إن إقامة الحدود جزء لا يتجزأ من الولاية للفقيه إن لم نقل من أخطرها، إذ حتى المنكرين لولاية الفقيه قالوا بثبوت الولاية له في مثل إقامة الحدود من الأمور الحسينية على فكرة القدر المتيقن. قال السيد الخوئي في تكمله مباني المنهاج: (إنما يجوز للحاكم الشرعي إقامة الحدود لأمرين:

أحدهما: إن إقامة الحدود إنما شرعت للمصلحة العامة دفعا للفساد، وعن انتشار

الفجور والطغيان بين الناس، وهذا ينافي اختصاصه بزمان دون كل زمان. ثانيهما: أن أدلة الحدود مطلقة، فلا تتقيد بزمان خاص، وهي تدل على أنه لا بد من إقامتها لكنها لا تدل على المتصدي لإقامتها من هو. ومن الضروري أن ذلك لم يشرع لكل أحد، فانه يوجب الاختلاف في النظام^(٥).

بعد أن ذكرنا الأدلة على ولاية الفقيه المطلقة، وان إقامة الحكومة الإسلامية هي من وظائف الحاكم الشرعي، ننقل بعض أقوال العلماء حول إقامة الحكومة الإسلامية وكيف استدلوا لذلك.

فأما الإمام الخميني(قدس) فقد اعتمد على عدة أدلة لإثبات ولاية الفقيه العامة، إذ اعتمد على أمر كان أول من طرحه في الأوساط الفقهية كفقيه له مكانته في الأوساط العلمية، وهو ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية، وهذا الأمر بحثه باستمرار وتبناه هو وتلامذته بقوه إلى أن أدى ذلك إلى إقامة الجمهورية الإسلامية في إيران، فقد اثبت:

أولا: أهمية الحكومة الإسلامية.

وثانيا: استند بعد بيان أهميتها إلى تلك الأهمية في إثبات ولاية الفقيه.

وبهذا توصل إلى شكل الحكومة الإسلامية، وهي الحكومة القائمة على أساس مبدأ ولاية الفقيه، فقال(قدس): (بديهي أن ضرورة تنفيذ أحكام الإسلام لم تكن خاصة بعصر النبي(صلى الله عليه وآله)، بل الضرورة مستمرة، لأن الإسلام لا يحد بزمان أو مكان، لأنه خالد، فيلزم تطبيقه إلى الأبد، وإذا كان حلال محمد(صلى الله عليه وآله) حلالا إلى يوم القيامة، وحرامه حراما إلى يوم القيامة، فلا يجوز أن تعطل حدوده وتهمل تعاليمه، ويترك القصاص أو تتوقف جباية الضرائب المالية، أو

يترك الدفاع عن أمه المسلمين وأراضيهم، واعتقاد ان الإسلام قد جاء لفترة محدودة، أو لمكان محدود يخالف ضروريات العقائد الإسلامية^(٦).

وقال أيضا (قدس): (من نظر إجمالا إلى أحكام الإسلام وبسطها في جميع شؤون الجامعة من العبادات التي هي وظائف بين العباد وخالقهم، كالصلاة والحج، وأن كان فيها أيضا جهات اجتماعية وسياسية مربوطة بالحياة والمعيشة الدنيوية، وقد غفل عنها المسلمون سيما مثل ما في الاجتماع في الحج في مهبط الوحي ومركز ظهور الإسلام.

ومع الأسف قد اغفلوا بركات هذا الاجتماع الذي سهل تحققه لهم الشارع الأقدس بوجه لا يتحقق لسائر الدول والملل إلا مع جهاد عظيم ومعارف خطيرة. ولو كان لهم رشد سياسي واجتماعي أمكن لهم حل كثير من المسائل المبتلى بها بتبادل الأفكار والتفاهم والتفكير في حاجاتهم السياسية والاجتماعية.

ومن القوانين الاقتصادية والحقوقية والاجتماعية والسياسية لرأي أن الإسلام ليس عبارة عن الأحكام العبادية والأخلاقية فحسب، كما زعم كثير من شبان المسلمين بل وشيوخهم، ذلك للتبليغات المشؤومة المسمومة المستمرة من الأجنبي وعمالهم في بلاد المسلمين طيلة التاريخ لأجل إسقاط الإسلام والمنتسبين إليه عن أعين الشبان وطلاب العلوم الحديثة، وإيجاد الافتراق والتباغض بين المسلمين قديمهم وحديثهم...

ثم قال: فعلى المسلمين وفي طبيعتهم الروحانيون وطلاب العلوم الدينية القيام على ضد تبليغات أعداء الإسلام بأية وسيلة ممكنة، حتى يظهر أن الإسلام قام لتأسيس حكومة عادلة فيها قوانين مربوطة بالماليات وبيت المال، وأخذها من جميع الطبقات على نهج عدل. وقوانين مربوطة بالجزئيات قصاصا وحدا ودية بوجه لو عمل بها لقلت الجنايات لو لم تنقطع، وانقطع بذلك المفسد المترتبة عليها كالتى تترتب على

استعمال المسكرات من الجنايات والفواحش إلى ما شاء الله تعالى، وما تترتب على الفواحش: (ما ظهر منها وما بطن). وقوانين مربوطة بالقضاء والحقوق على نهج عدل وسهل من غير إتلاف الوقت والمال كما هو المشاهد في المحاكم الفعلية وقوانين مربوطة بالجهاد والدفاع والمعاهدات بين دول الإسلام وغيرها.

فالإسلام أسس حكومة لا على نهج الاستبداد المحكم فيه، رأي الفرد وميوله النفسانية على المجتمع، ولا على نهج المشروطة أو الجمهورية المؤسسة على القوانين البشرية التي تفرض تحكيم آراء جماعة من البشر على المجتمع. بل حكومة تستوحي وتستمد في جميع مجالاتها من القانون الإلهي، وليس لأحد من الولاة الاستبداد برأيه، بل جميع ما يجري في الحكومة وشؤونها ولوازمها لا بد وأن يكون على طبق القانون الإلهي حتى الطاعة لولاة الأمر.

نعم للوالي أن يعمل في الموضوعات على طبق الصلاح للمسلمين أو لأهل حوزته، وليس ذلك استبدادا بالرأي، بل هو على طبق الصلاح، فرأيه تبع للصلاح كعمله. وبعد ما عرفت ذلك نقول: أن الأحكام الإلهية - سواء الأحكام المربوطة بالماليات أو السياسات أو الحقوق - لم تنسخ، بل تبقى إلى يوم القيامة، ونفس بقاء تلك الأحكام يقضي بضرورة حكومة وولاية تضمن حفظ سيادة القانون الإلهي وتتكفل إجرائه، ولا يمكن إجراء أحكام الله إلا بها، لئلا يلزم الهرج والمرج. مع أن حفظ النظام من الواجبات الأكيدة، واختلال أمور المسلمين من الأمور المبعوضة، ولا يقوم بذا ولا يسد هذا إلا بوال وحكومة. مضافا إلى حفظ ثغور المسلمين عن التهاجم عن غلبه المعتدين واجب عقلا وشرعا، ولا يمكن ذلك إلا بتشكيل الحكومة، وكل ذلك من أوضح ما يحتاج إليه المسلمون، ولا يعقل ترك ذلك من الحكيم الصانع. فما هو دليل الإمامة، بعينه دليل على لزوم الحكومة بعد غيبه ولي الأمر سيما في هذه السنين المتمادية، ولعلها تطول والعياذ بالله إلى آلاف السنين، والعلم عنده تعالى،

فهل يعقل من حكمة الباري الحكيم إهمال الملة الإسلامية وعدم تعيين تكليف لهم، أو رضي الحكيم بالهرج والمرج واختلال النظام، ولم يأت بشرع قاطع للغدر لئلا تكون للناس عليه حجة؟

وما ذكرناه وان كان من واضحات العقل، فان لزوم الحكومة - لبسط العدالة والتعليم والتربية، وحفظ النظم، ورفع الظلم، وسد الثغور، والمنع عن تجاوز الأجنبي - من أوضح أحكام العقول، من غير فرق بين عصر وعصر، ومصر ومصر، ومع ذلك دل عليه الدليل الشرعي أيضا، ففي (الوافي) عقد بابا (في أنه ليس شيء مما يحتاج إليه الناس إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة.

وفيه روايات: منها: رواية حازم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (أن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئا يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: (لو كان هذا أنزل في القرآن) إلا وقد أنزل الله تعالى فيه) (٧) (٨).

وقد ذكر صاحب كتاب أحكام ولي الأمر في الدولة الإسلامية، قائلا: (يمكن صياغة أدلة الحكومة الإسلامية إلى عدة صياغات، منها:

الصيغة الأولى: أن إقامة الحكومة الإسلامية من باب المقدمات الوجودية للواجبات المعلومة في الشريعة الإسلامية نظير السفر إلى الحج، فان وجوب السفر أمر مفروغ منه بوصفة مقدمة وجودية للحج، وتهيئة السلاح للجهاد فانه مقدمة وجودية للجهاد وتجب بوجوبه... وكذلك الحال في الحكومة، فإنها مقدمة وجودية للكثير من الواجبات في الشريعة الإسلامية كإقامة الحدود وحفظ النظام، وأمن البلاد ودفع العدو، فان جميع هذه الأمور واجبة شرعا وحيث أن هذه الأمور لا يمكن القيام بها بصورة فردية، بل لابد من الحكومة، فتكون الحكومة مقدمة وجودية فتجب إقامتها، ويكون على رأسها العارف بتلك الواجبات.

الصيغة الثانية: لو لم تجب الحكومة الإسلامية لزم لغوية الكثير من الخطابات الشرعية نظير الأمر بإقامة الحدود: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة)^(٩).

وغيرها من خطابات لزوم إقامة الحدود ونظير الأمر بإعداد القوة لإرهاب عدو الله: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)^(١٠). ونظير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويتهون عن المنكر)^(١١).

بناء على أن المراد بالأمة هنا هي الدولة كما هو أحد تفسيرات الآية، وما شاكل ذلك من الخطابات التي لوحظ فيها الجماعة، أو حيثية عامة، إذ مع عدم إقامة الحكومة فإنه لا يمكن إجراء حدود الله كما أراد، كما لا يمكن أعداد القوة اللازمة لإرهاب العدو ولذلك نجد في الخارج بعد سقوط الدولة الإسلامية توقف العمل بكثير من الأحكام الإلهية، وسبب ذلك يرجع إلى أن إجراء تلك الأعمال منوط بهيئة عامة تتولى متابعة تلك الأحكام، وتنفيذها على الساحة الاجتماعية)^(١٢).

وجاء في كتاب الحاكمية في الإسلام تحت عنوان ولاية الفقيه على التصرف في الأموال والنفوس أو في الأمور الاجتماعية والسياسية. قال:

(١- تستعمل (ولاية التصرف) في معنيين بينهما عموم من وجه كما سنشير إلى ذلك:

المعنى الأول: عبارة عن سلطة التصرف في خصوص نفوس الآخرين وأموالهم على نحو ولاية الشخص على نفسه وماله، بحيث يجوز له أن يتصرف فيهما كيفما أراد، سواء التصرفات الخارجية مثل أن يخضع (الولي) المولى عليه إلى عملية جراحية لمصلحة في ذلك، أو يصطحبه معه في السفر وما شابه ذلك، أو التصرفات الاعتبارية

فيه مثل أن يزوجه امرأة، أو يطلق زوجته، أو يتصرف في أموال المولى عليه، سواء بالتصرفات الخارجية أو الاعتبارية، مثل أن ينقل أمواله من مكان إلى مكان آخر، أو من بلد إلى بلد آخر لمصلحة ما، أو أن يبيع أشياءه، أو يؤجرها أو يبدلها بشيء آخر كذلك.

المعنى الثاني: عبارة عن سلطة التصرف في أمور البلاد: الاجتماعية والسياسية والتي يعبر عنها بـ (ولاية الزعامة أيضا). وقد تحدث الفقهاء حول ولاية التصرف في كتبهم الفقهية عند البحث عن شرائط المتعاقدين في كتاب البيع غالبا، ومرادهم منها: الولاية بمعناها الأول، فهم يبحثون في هذا الأمر من جهة أن الحاكم الشرعي (الفقيه) هل له ولاية على أموال القاصرين كاليتيم الذي لا ولي ولا قيم له، على غرار ولاية الأب، والجد للأب، أم لا؟

وأنه في صورة الثبوت هل ولايته على الأموال محدودة ومقصورة على القاصرين، أو أنها تشمل سائر الأفراد أيضا؟

أنهم في الغالب ينفون ولاية الفقيه بصورتها المطلقة، ومن جملة الفقهاء المرحوم الشيخ الأنصاري (قدس) الذي نفى الولاية المطلقة بمعناها الأول (١٣).

وأما (ولاية التصرف) بالمعنى الثاني الذي هو عبارة عن: (ولاية الزعامة ورئاسة الحكومة) فقد قال بها أكثر الفقهاء تقريبا، لان الفقيه الجامع للشرائط سواء الشرائط السياسية أو الشرعية أو الاجتماعية أو العرفية - أولى من غيره بالحاكمية الإسلامية، لأن حفظ النظام الإسلامي يجب أن يتم على يد من تكون له معرفة كاملة بأحكام الإسلام وقوانينه، فبالنظر إلى وجوب حفظ النظام الإسلامي في صورة الإمكان وبسط يد الفقيه ننتهي إلى النتيجة التالية، وهي: أن حق الحاكمية الإسلامية، (ولاية التصرف) في الأمور الاجتماعية، والسياسية هو للفقيه، ومن شؤونه ومن حقه.

وأما الولاية بالمعنى الأول الذي هو خصيصه استثنائية فهي تحتاج إلى دليل مستقل لتثبت هذه السلطة للفقهاء كما هو ثابت للإمام المعصوم (عليه السلام) ومن الواضح أن نقيها لا يرتبط بولاية التصرف في الأمور الاجتماعية والسياسية، لأن ولاية التصرف في الأموال والنفوس أمر زائد، وفرعي، يكون ثبوته للفقهاء أمرا استثنائيا وغير ضروري، وقد اعتبره كثير من العلماء خاصا بالمعصومين.

٢- والنسبة بين هاذين المعنيين لولاية التصرف هي العموم من وجه، يعني أنه يمكن أن يتمتع شخص بكل النوعين من (ولاية التصرف) كالنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومون.

٣- الذين كانوا يمتلكون (أو كانت إليهم) السلطة على البلاد، وكذا السلطة على نفس كل واحد من أفراد الأمة وأمواله، ويمكن أن يكون للشخص ولاية واحدة من هاتين الولايتين.

والقضية الأساسية في مبحث ولاية الفقيه في عصر الغيبة للإمام (عليه السلام)، هي إثبات (ولاية التصرف) بالمعنى الثاني أي (ولاية الحكومة والزعامة والقيادة السياسية) وإلا فإن حق التصرف في الأموال والنفوس لا يكون له دور مهم في إدارة البلد الإسلامي وهدفها الأعلى هو: بقاء واستمرار الحكومة الإلهية.

إن ضرورة وجود القيادة في كل قطر وشعب وأمه أمر بديهي لا شك فيه، ولا حاجة إلى الاستدلال عليه، والأمة والبلاد الإسلامية ليست بمستثناة من هذا القانون الكلي العقلاني. نعم الخلاف والصراع كله منذ القديم وإلى الآن إنما هو حول تعيين من الذي يشغل هذا المنصب وبالأحرى من يكون صالحا لهذا المقام؟

لقد كانت هذه السمة مخصوصة في البداية بشخص النبي (صلى الله عليه وآله)، ثم بعد رحيله وقع الخلاف بين المسلمين واختلفوا في هذه المسألة وهي: هل الإمام

علي(عليه السلام) ثم الأئمة المعصومين(عليهم السلام) قد عيّنوا من قبل النبي(صلى الله عليه وآله) الأكرم لتصدي هذا المنصب وقيادة الأمة الإسلامية من بعده، أم أن لكل من ينتخبه الناس - حتى إذا كان من قبيل (يزيد) الفاسق و(الحجاج) السفاك و(الوليد) الخليع - حق الحكم والرئاسة على المسلمين.

ولقد آمن الشيعة بالمبدأ الأول، واعتقدوا بإمامة الأئمة المعصومين وآخرهم إمام العصر المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) واعتبروا الحاكم الشرعي في عصر غيبته(عليه السلام) الفقيه الجامع للشرائط، بينما يعتبرون الآخرين حكام جور، وجميع الحكومات حكومات غاصبة غير شرعية إلى درجة أنهم لا يعتبرونها مالكة للأموال الحكومية، لأنها ليست مأذونة من قبل إمام العصر(عجل الله فرجه الشريف) أو نائبه (وهو الفقيه الجامع للشرائط) (١٤).

وجاء في كتاب دراسات في ولاية الفقيه: (أعلم أن من أهم الأمور الضرورية للبشر وجود النظام الاجتماعي والحكومة العادلة الحافظة لحقوق المجتمع، فإن الإنسان مدني بالطبع، لا يحصل على حاجته وطلباته إلا في ظل الاجتماع والتعاون، وكثيرا ما تعرض له قضايا عامة تمس مصالح المجتمع ويطلب فيها قرار ورأي واحد يجمع القاطعية وقابلية التنفيذ والقدرة عليّة، ولا يحصل ذلك إلا تحت لواء حكومة قاطعة، ولأجل ذلك ترى أنه لم تخل حياة الإنسان في جميع مراحلها وأدوارها حتى في العصور الحجرية وفي الغابات من حكومة ودويلة.

وهنا ملاحظة أخرى، وهي أن الإنسان قد جبل في طبعة وكيانه على شهوات وميول مختلفة: من حب الذات، وحب المال والجاه، والحرية المطلقة في كل ما يريده ويهواه. وكثيرا ما يستلزم ذلك كله التزاحم والتضارب في الأفكار والأهواء، ويستعقب الجدل والصراخ. فلا محالة تقع الحاجة إلى قوانين ومقررات، وإلى قوة منفذه لها،

مانعة من التعدي والكفاح، ولا نعني بالحكومة إلا هذه القوة المنفذة. بل الحيوانات

أيضا لا تخلو من نحو من النظام، كما يشاهد ذلك في النمل والنحل ونحوها...

والمراجع للكتاب والسنة، وفقه مذاهب الإسلام من الشيعة والسنة يظهر له بالبداية أن دين الإسلام الذي جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لم ينحصر أحكامه في أمور عبادية ومراسيم وأداب فردية فقط، بل هو جامع لجميع ما يحتاج إليه الإنسان في مراحل حياته الفردية والعائلية والاجتماعية من المعارف والأخلاق والعبادات والمعاملات والسياسات والاقتصاد والعلاقات الداخلية والخارجية فهو بنفسه نظام كامل لجميع الاقتصاد والسياسة أيضا.

والتتبع في أخبار الفريقين وفتواهم في الأبواب المختلفة لفقه الإسلام يرشدنا إلى كون الحكومة وتنفيذ المقررات أيضا داخلية في نبع الإسلام ونظامه. فالإسلام بذاته دين ودولة، وعبادة واقتصاد وسياسة (١٥).

وجاء في كتاب ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنه: (وجوب إقامة الدولة في الإسلام يوشك أن يكون من ضروريات هذا الدين، إلا أن الفترة الزمنية الطويلة التي حجب الإسلام فيها عن التصدي للحكم والقيادة أدت إلى تضبيب الرؤية الفقهية والفهم الفقهي لهذه المسألة، مما يحوجنا أن نير البحث عنه من الزاوية الفقهية في هذه الدراسة...

ونحن نقتصر هنا على ذكر ثلاث طوائف من هذه الآيات، وفي القرآن طوائف آخر وشواهد كثيرة على ما نقول.

الطائفة الأولى الدالّة على وجوب القضاء والحكم والفصل فيما بين الناس ووجوب إجراء الحدود، ووجوب جهاد الكفار وقتالهم، وإليك نماذج من هذه الآيات: (يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الخبز بالخبز والعبد بالعبد

وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٦).

(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) (١٧)

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم جزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (١٨).

هذه نماذج من الطائفة الأولى من آيات الأحكام تشير إلى أحكام إلزامية قطعية في الإسلام. وهذه الطائفة من آيات الأحكام تختلف عن الأحكام الإلزامية التي تتعلق بذمه الأفراد، من قبيل قوله تعالى: (وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَوْنَ) (١٩) و (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢٠).

وهذه الطوائف تخاطب الأفراد، وتلزمهم بأحكام شرعية لها بالنسبة لكل فرد امتثال وعصيان، فقد يطيع أحد حكم الصلاة أو الصيام ويعصيه آخر، ولا تضر معصية الثاني بطاعة الأول، ونستطيع أن نسمي هذه الطائفة من الأحكام بالأحكام ذات الطابع الفردي، وهي طائفة واسعة من الأحكام. وإلى جنب هذه الطائفة توجد طائفة أخرى من الأحكام وهي التي لا تخاطب الأفراد بصفاتهم الفردية، وإنما تخاطب المجتمع (الهيئة الاجتماعية) وليس لهذه الأحكام إلا طاعة واحده وعصيان واحد، في كل الهيئة الاجتماعية ولا ينحل الحكم - كما في الطائفة الأولى - إلى مجموعة من الأحكام الإلزامية بعدد الأفراد، حتى يكون لكل فرد طاعة ومعصية مستقلة، وإنما يكون للحكم طاعة واحدة ومعصية واحدة فقط. وذلك لان تنفيذ وامتثال هذه

الطائفة من الأحكام لا يتم من دون وجود أمرين، لا بد منهما في تنفيذ هذه الأحكام، وهذان الأمران هما:

١- القوة والنفوذ وبسط اليد.

٢- الشرعية.

وهذان العنصران هما العنصران الرئيسيان اللذان يشكلان العمود الفقري للدولة، فلا بد من وجود قوة ونفوذ وسلطان في تنفيذ هذه الأحكام، يعاقب المتخلفين، ويلزمهم بإطاعة الحكم الشرعي. ولا بد من أن تمتلك هذه السلطة سيادة شرعية لتتمكن من تنفيذ الأحكام.

وهذان العنصران هما العنصران الأساسيان المكونات للدولة الإسلامية ولا تقوم الدولة إلا بهما، ولا يمكن تنفيذ الأحكام إلا بهما.

يقول السيد البروجردي (قدس): (إن في الاجتماع أموراً لا تكون من وظائف الأفراد، ولا ترتبط بهم، بل تكون من الأمور العامة الاجتماعية التي يتوقف عليها حفظ نظام الاجتماع، مثل القضاء وولاية الغيب، والقصر، وبيان تعريف اللقطة، والمجهول المالك، وحفظ الانتظامات الداخلية، وسد الثغور، والأمر بالجهاد، والدفاع عند هجوم الأعداء، ونحو ذلك مما يرتبط بسياسة المدن، فليست هذه ممن يتصدى إليها كل أحد، بل تكون من وظائف قيم الاجتماع، ومن بيده أزمة الأمور الاجتماعية، وعليه أعباء الرئاسة والخلافة).

ثم يقول عن الإسلام: (أن أكثر أحكامه مرتبطة بسياسة المدن، وتنظيم الاجتماع، وتأمين سعادة هذه النشأة، ولأجل ذلك اتفق الخاصة والعامة على أنه يلزم في محيط الإسلام وجود سائس وزعيم يدير أمور المسلمين، بل هو من ضروريات الإسلام، وإن

اختلفوا في شرائطه وخصوصياته، وان تعيينه من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو بالانتخاب العام (٢١)(٢٢).

وجاء في كتاب نظام الحكم والإدارة في الإسلام: قال: (أنا نتساءل قبل كل شيء هل الدولة ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها أبدا، أم أنها وليده ظروف خاصة يمكن الاستغناء عنها بزوال تلك الظروف؟ وعليه نجيب بثقة واطمئنان: إن الدولة ضرورة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في جميع الأحوال وذلك لأن المجتمع الإنساني حاجة نفسية للكائن البشري، فمن البدهة بمكان أن الفرد لا يمكن أن ينعق من هذه الغريزة، غريزة المجتمع، مهما حاول الانعتاق، وإذا وجد المجتمع الإنساني وجدت العلاقات الاجتماعية المعقدة، ووجد النشاط الاجتماعي المتعدد الوجوه في شتى الميادين، وفي هذا الحال لا بد من أن يوجد أشرف ما على المجتمع ينظم علاقاته تنظيما يحول بينه وبين التفكك بفعل تصادم المصالح بين الأفراد والجماعات، وينظم النشاط الاجتماعي في ميادينه المختلفة، ويشرع من القوانين ما يصون به حقوق الأفراد على المجتمع وواجباتهم نحوه. هذه هي وظائف الدولة الأساسية، ولما كان هذا النشاط ضروريا للمجتمع فالدولة لذلك ضروري....

ثم قال في مورد آخر: (والباحث في هذه المسألة يجد أن فكره الحكومة الإسلامية التي نادى بها الرسول (صلى الله عليه وآله)، سواء فيما أنزل عليه من القرآن أو فيما كان يحدث به أصحابه، تتلخص في أنه ليست في الإسلام في حالة وجود النبي (صلى الله عليه وآله) سلطتان: سلطه زمنية وسلطه دينية، وإنما هي سلطه واحده دينيه زمنية فتجمع في يد إنسان واحد هو النبي (صلى الله عليه وآله) يكون هو المرجع في ما يتصل بها وينبثق عنها كاهه، وفي الكتاب نصوص جملة تنادي بالحكومة الإسلامية، قال الله تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) (٢٣). هذا النص وغيره، يشير إلى طبيعة

هذه الحكومة، فهي حكومة دينية تقوم على كتاب الله وكذلك السنة. كقوله (صلى الله عليه وآله): (من مات وليس عليه إمام فميتته جاهلية) (٢٤) وكذلك: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) (٢٥). وقد قرر المتكلمون والفقهاء هذه القضية، واستدلوا عليها بالإجماع، إذن فالحكومة ضرورة لا بد منها، تقتضي بذلك الحقائق النفسية والاجتماعية التي عرضنا لها فيما سبقن أما نصوص التشريع من الكتاب والسنة التي ذكرنا بعضها منها فكلها تشير إلى معنى واحد: (حتمية الحكومة الإسلامية) (٢٦).

النتائج النهائية والتوصيات:

لقد توصلنا من خلال البحث بأن المرجعية الدينية لم تكن في يوم من الأيام مكتوفة الأيدي أمام الأزمات الفكرية والسياسية والاقتصادية والتربوية والتعليمية والاجتماعية نحوها، بل نهضت بحكم وظيفتها ومسؤوليتها الشرعية بمعالجة تلك الأزمات التي أمت بالأمة الإسلامية بشتى الوسائل المتاحة لها، وبذلك نستطيع أن نلخص ما توصلنا إليه من خلال البحث بعدة نقاط:

أولاً: اتضح لنا الإشراف الصحيح للمرجعية الدينية على حركة الأمة بما يتوافق مع الأصول والمبادئ الأصلية التي تؤخذ من المصادر المعتبرة، والموجب على المجتمع بالرجوع إليها؛ لأنها هي من استوعب التعاليم الإلهية الحققة وعملت لأجل الحفاظ عليها.

ثانياً: تصدى المرجعية لكشف هوية الأعداء ودحض شبهاتهم وأفكارهم المنحرفة بشتى الوسائل المتاحة لها.

ثالثاً: الدور الكبير لمساهمة المرجعية في طرح الأصول الفكرية والاعتقادية من خلال إمكاناتها الفعلية، كتصنيف المصنفات، أو الإشراف على تدوينها،

وكالأشراف على دور المبلغين، والتأكد من كفاءتهم، وتمكنهم من المعلومات واستيعابهم لها بدقة وعمق وشمولية، حتى يمكنهم تأمين الخطاب الديني الصحيح. رابعاً: عملت المرجعية الدينية على إقامة المؤسسات الفكرية والتربوية، والإشراف على حركتها، والعمل على توجيه كافة قطاعات الأمة، حسب التمكن نحو الارتباط بتلك المراكز والمؤسسات.

خامساً: اتضح لنا دور الجمعية السياسي والاقتصادي من خلال طرح مبدأ الحكومة الإسلامية ودورها في إقامة الحدود وتشريع الأحكام الخاصة بذلك.
الهوامش:

(١) المعتوق، حسين، المرجعية والولاية، ص ٢٩.

(٢) الحائري، كاظم الحسيني، مباحث الأصول، ج ١ من قسم ٢ ص ٨٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٥٨.

(٤) الخميني، روح الله، الحكومة الإسلامية، ص ١١٠.

(٥) الخوئي، أبو القاسم، تكمله مباني المنهاج، ج ١، ص ٢٧٣.

(٦) الخميني، روح الله، الحكومة الإسلامية، ص ٢٥.

(٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٥٩، ح ١.

(٨) الخميني، روح الله، البيع، ج ٢، ص ٦١٧.

(٩) سورة النور، آية: ٢.

(١٠) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(١١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(١٢) الساعدي، نوري حاتم، أحكام ولي الأمر في الدولة الإسلامية: ص ٧٢.

(١٣) الأنصاري، مرتضى بن محمد أمين، المكاسب، ج ٣، ص ٥٤٦، لقد نفى الإمام الخميني & هذه الولاية أيضاً في البيع: ج ٢، ص ٦٨٧.

(١٤) الخلخالي، محمد مهدي، الحاكمية في الإسلام، ص ٥٤٥.

- (١٥) المنتظري، حسين علي، دراسات في ولاية الفقيه: ص ٤-٨.
- (١٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.
- (١٧) سورة النور، الآية: ٢.
- (١٨) سورة المائدة، الآية: ٣٣.
- (١٩) سورة الأنعام، الآية: ٧٢.
- (٢٠) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
- (٢١) الطباطبائي، حسين، البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر، ص ٧٣، تقارير المنتظري.
- (٢٢) الأصفي، محمد مهدي، ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة، ص ٢٨.
- (٢٣) سورة النساء: الآية: ١٠٥.
- (٢٤) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١٢، ص ٢٤١، الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٣٧٦.
- (٢٥) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ٦، ص ٢٢.
- (٢٦) شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص ٣٩.
- مصادر البحث
- القرآن الكريم
١. الأصفي، محمد مهدي، ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، قم، ط ١، ١٤٢٦ هـ .
١. الأنصاري، مرتضى بن محمد أمين، المكاسب، نشر وتحقيق المؤتمر العالمي للشيخ الأعظم الأنصاري، قم، ط ١، ١٤١٥ هـ.
٢. الحائري، كاظم الحسيني، مباحث الأصول، (تقريراً لأبحاث الشهيد محمد باقر الصدر)، نشر دار البشير، قم، ط ٢، ١٤٢٦ هـ.
٣. الخلخالي، محمد مهدي، الحاكمية في الإسلام، نشر مجمع الفكر الإسلامية، قم، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

٤. الخميني، روح الله، البيع، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (قدس)، الطبعة الأولى، صفر ١٤٢١هـ.
٥. الخميني، روح الله، الحكومة الإسلامية، نشر مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، قم، ط١، ١٩٩٦م.
٦. الخوئي، أبو القاسم، تكمله مباني المنهاج، المقرر: محمد تقي الخوئي، بدون نشر وتاريخ.
٧. الساعدي، نوري حاتم، أحكام ولي الأمر في الدولة الإسلامية، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٨. شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٩. الطباطبائي، حسين، البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر، المقرر، حسين علي المنتظري النجف آبادي، نشر مكتب المنتظري، قم، ط٣، ١٤١٦هـ.
١٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.
١١. المعتوق، حسين، المرجعية والولاية، نشر دار النبأ، إصدار الحوزة العلمية في الكويت.
١٢. المنتظري، حسين علي، دراسات في ولاية الفقيه، نشر دار الفكر، قم، ط١، ١٤١١هـ.
١٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج صحيح مسلم، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

مدرسة النجف الفقهية و العرفان الاخلاقي

م. د بتول فاروق الحسون

كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة:

الجميع يعرف ان مدرسة النجف الفقهية الحوزوية هي مدرسة اصولية عقلية في الغالب ، وان لديها ضوابط صارمة للاجتهد الفقهي، ولديها تقاليد عريقة للبحث الاصولي والفقهي ، وهي مدرسة تعنى في الاساس بهذا الجانب ، الا ان ذلك لا يعني انها قد انعدمت فيها المشارب السلوكية ، او الطرق الروحية ، للوصول الى معرفة الله وعبادته بالوجه الحق ، وسلوك الطرق الخاصة بالزهد والتعفف ، والتسك والاعتكاف من اجل التعلم والعبادة ، بل ان اغلبية المراجع الكبار في حوزة النجف هم من الزهاد الورعين عما في ايدي الناس، وبهجرة الحياة ، وغالبا ما يعيشون شظف العيش ، والابتعاد عن البهجة والفخامة في المسكن والملبس.

من هنا يتناول هذا البحث موقف هذه الحوزة من علم العرفان ، وما هو المذموم منه ، وما هو خارج نطاق الشريعة ، والدين الاسلامي ، وما هو مقبول منه. و علاقة العرفان بمذهب اهل البيت، واسباب انتشاره في قم ، بدلا من النجف ، وما الاسباب التي دعت اغلب المراجع الى تحريمه، ولا يعدونه مذهبا صحيحا. وهل يمكن حدوث تغيير في هذه النظرة اذا ما تغيرت مفاهيم العرفان الى النوع المعترف به اسلاميا . ودراسة انموذج عرفاني نجفي حديث يمكن ان يبين لنا كقراء - الصفات التي يتحلى بها العرفان النجفي ، ومدى اختراقه للمنظومة الكلامية الرسمية للحوزة العلمية في النجف .

اسباب البحث : كثرت في الآونة الاخيرة في الاوساط الشبابية والثقافية ومواقع التواصل الاجتماعي نزوع نحو قراءة الادبيات الصوفية والعرفانية ، وانتشار الموسيقى وحلقات الرقص المولوي ، يكاد يكون اكتساحا للساحة الدينية ، وصارت هناك تساؤلات عدة عن موقف المدرسة الامامية من العرفان ، وبالذات الحوزة النجفية ، التي يلاحظ عليها غياب مظاهر العرفان كما يفهمه البعض .

فرضية البحث : ان المدرسة الامامية النجفية قد ميزت بين نوعين من العرفان ، فبحسب تعريف العرفان لدى جماعة ما ، يتم اصدار الحكم عليته ، فهناك عرفان ممدوح وعرfan مذموم . وهناك عرفان نظري وعرfan عملي سلوكي اخلاقي والنوع الثاني لايتعارض مع المدرسة الاصولية العقلية

من هنا جاء البحث على مباحث ثلاثة :

الاول : التحديدات المصطلحية والتعريف بالمدرسة النجفية ، والمدرسة العرفانية مع عرض تاريخي مبسط لكل منهما .

الثاني : خصائص المدرسة الاصولية النجفية ، وادوارها .

وخصائص المدرسة العرفانية ، وذكر انواعها المتطرفة والمعتدلة وذكر الفتاوى بحقها .

الثالث : نموذج نجفي عرفاني ، حديث ، والحراك الاجتماعي المعاصر وانتشار التدين العرفاني على حساب التدين الفقهي التشريعي، التقليدي.

الخاتمة ونتائج البحث

ثم المصادر والمراجع والهوامش.

علما ان البحث هو اشارات سريعة وعاجلة ، لموضوع واسع ، يمكن ان يرسم لنا ملامح التميز في مدرسة النجف الفقهية ، ومالها وما عليها .
ومن الله التوفيق ...

المبحث الاول : تحديدات مصطلحية وتاريخ المدرسة النجفية والعرفان

المطلب الاول / التعريفات

مدرسة النجف الفقهية :

المعنى اللغوي للمفردات واضحة لا يحتاج الى تعريفات خاصة .

فالمدرسة : لا يقصد بها البناء او الوجود المادي لها ، بل يقصد بها الاتجاه او الرؤية الخاصة بموضوع معين ...

اما النجف : فهي مدينة مقدسة ، نشأت بظهر الكوفة في العراق ، ويرجع تاريخها الى العصر الجاهلي حيث كانت مركزا للأديرة المسيحية ، وبها مرقد الامام علي ابن ابي طالب (ع) ، كانت المدينة تابعة للكوفة ، يرجع اصل التسمية الى المنجوف أي المكان الذي لا يصل اليه المياه ، وللمدينة قدسية عند المسلمين ، وخاصة الشيعة كونها مرقد أول الأئمة علي ابن ابي طالب ع ويوجد فيها مسجدا الكوفة والسهلة ، حيث الان ان الكوفة اداريا تابعة لمحافظة النجف ، يوجد في المدينة عدة معالم تاريخية واغلبها معالم اسلامية ، وهي مركز الحوزة العلمية^١

اما الفقه بالمعنى اللغوي : هو العلم بالشيء والفهم له^٢ .

اما بالمعنى الاصطلاحي فتعني اللفظة : العلم بالأحكام الشرعية الفرعية وتحديد وظيفة المكلف العملية عن أدلتها التفصيلية المتمثلة بالقرآن والسنة والإجماع

والعقل. ، او هو : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من ادلتها التفصيلية

٣ .

مدرسة النجف الفقهية : يطلق عليها الحوزة العلمية ، ولها نظامها الخاص بالدراسة وتعريف الحوزة لغة : حوزة الشيخ : مجلسه الذي يلقي على مريديه فيه العلم^٤ والحوزة العلمية : "مصطلح يطلق على المراكز الدراسية التي تضم طلبة العلوم الدينية في الوسط الشيعي، والتي تقع تحت إشراف وإدارة العلماء الكبار ومراجع التقليد العظام. وتنقسم الحوزة العلمية الشيعية إلى مجموعة من المدارس الفرعية، وتحظى باستقلال مادي واقتصادي خاص. فلا تخضع في مواردها المالية والاقتصادية إلى الدعم الحكومي بل يقوم مراجع التقليد بتأمين ما تحتاج إليه الحوزات العلمية من خلال الوجوه الشرعية كالأخماس والزكوات وهدايا المؤمنين^٥ .

تعريف العرفان : لغة واصطلاحاً:

العرفان في اللغة مشتق من "عرف"، ويعنى به المعرفة. يقول ابن منظور: "عرف : العرفان: العلم... عرفه، يعرّفه، عرّفته، وعرفانا وعرفانا ومعرفة واعترفه... ورجل عروف: وعروفة: عارف يعرف الأمور، ولا ينكر أحداً رآه مرة... والعريف والعارف بمعنى مثل : عليم وعالم... والجمع عرفاء"^٦ .

وعرف اصطلاحاً : "العرفان هو عبارة عن العلم بالحق سبحانه من حيث أسمائه و صفاته ومظاهره، والعلم بأحوال المبدأ والمعاد وحقائق العالم وكيفية رجوعها إلى الحقيقة الواحدة التي هي الذات الأحادية للحق تعالى، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتحرير النفس من علائقها وقيود جزئيتها ولاتصالها بمبدئها واتصافها

بنعت الإطلاق والكلية ٧ ، وعرفه محمد تقي مصباح اليزدي : "عبارة عن المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بواسطة العقل او التجربة الحسية .. وهذا اللون من المعرفة يحصل في ظل العمل المخلص بأحكام الدين ، وهو الثمرة الرفيعة والنهائية للدين الحقيقي" ٨ .

كما تم تعريف الكلمة اصطلاحا : هو المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بفضل التجربة الحسية فأن العارف الذي حقق تقدما في سيره العرفاني ينظر إلى عالم الوجود على انه مظهر من مظاهر الباري عز وجل وان كل ظاهرة على هذا الوجود ان هي مرآة تعكس الجمال الاحدي وهو وجود الله تبارك وتعالى ؟ وبعبارة أخرى ان كل موجود من الموجودات في هذا العالم ان هو من فيض ذلك الوجود الحقيقي والوجود الحقيقي هو الله تبارك وتعالى كما ان العارف العرفاني لا يرى لهذه الموجودات وجود مستقل بل يرى الوجود المستقل لذات الله تبارك وتعالى ٩ .

يقول محمد عابد الجابري في تعريفه للعرفان " يبدو العرفان نظاما معرفيا مستقلا قائما بذاته ، ينفصل عن سواه في نظرته واتجاهه وفي فضائه وميدانه الخاص ، وبالتالي في انه منهج وطريق للمعرفة ... وفي اللغات الاجنبية يسمى "الغنوص" (Gnose) ومعناها المعرفة وقد استعملت بمعنى العلم والحكمة" ١٠ .

والعرفان العملي والاخلاق :

العرفان العملي علم يوضح كيفية السير والسلوك للوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهو بهذا الأسلوب يبين ما ينبغي على السالك أن يفعله وما لا ينبغي. وعلى هذا الأساس، فالعرفان العملي لا يختلف كثيرا عن علم الأخلاق الذي هو علم يبين كيفية اكتساب الفضائل والابتعاد من الرذائل. ١١ وما يميز العرفان النظري عن

الأخلاق، هو أن العرفان النظري مذهب فكري، يُعني بتفسير الوجود ومعرفة الله والعالم والإنسان، فالعرفان النظري من هذه الجهة كالفلسفة، وهذا يخالف علم

الأخلاق. ١٢

المطلب الثاني

تاريخ المدرسة النجفية الحوزوية :

"في سنة (٤٤٨ هـ) نزع إلى مدينة النجف من بغداد كبير علماء الشيعة في ذلك العهد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، إثر فتنة طائفية أثارها السلجوقيون في مفتتح حكمهم في العراق، وكان من أثارها الهجوم على دار الشيخ الطوسي، ونهب كتبه وإحراق كرسيه الذي كان يجلس عليه للتدريس، وإحراق مكاتب أخرى. فكان ارتحال الشيخ الطوسي إلى النجف، بداية عهد جديد في حياة هذه المدينة التي أخذت منذ ذلك العهد تتحول من مدينة ومزار إلى جامعة كبرى. ويبدو أنه كان للنجف قبل الشيخ الطوسي شأن علمي، وكان يقصدها الناس للدراسة على علمائها المجاورين فيها، فمنذ أوائل القرن الثالث للهجرة نرى أسماء علمية بارزة تنسب إلى النجف، مثل: شرف الدين بن علي النجفي، وأحمد بن عبد الله الغروي، وابن شهریار، كما أن هناك إجازات علمية تحمل اسم النجف. ثم نرى أن المؤرخين يذكرون أن عضد الدولة البويهی حين زيارته للنجف سنة ٣٧١ هـ، وزع أموالاً على الفقهاء والفقراء، ومعنى هذا أنه كان فيها جمهور من الفقهاء خفيت عنا أخبارهم، وضاعت فيما ضاع من أخبار النجف الكثيرة، ومعنى هذا أيضاً، أنه كان قبلهم فيها فقهاء، وظل بعدهم فيها فقهاء. ولكي يشير المؤرخون إلى وجود الفقهاء فيها حين زيارة عضد الدولة، لابد من أن يكون هؤلاء الفقهاء حصيلة دراسات متصلة من عهد لا نستطيع تحديده تحديداً دقيقاً" ١٣ .

الحوزة بعد الشيخ الطوسي:

ويستمر ذلك حتى القرن السابع الهجري، تنتقل الحوزة الى الحلّة فتغدو هي البديل عن النجف، ولتكون مقراً لكبار علماء الشيعة ومقرّ تدريسهم، على أن النجف ظلت محتفظة بطابعها العلمي، وظل فيها من العلماء والفقهاء. ولكن الأمر ما لبث أن عاد إلى أصله، وعادت النجف دار العلم والتدريس، على أن الحال لم تستقر بها استقراراً تاماً، بل ظلت بين مدّ وجزر.. إلى أن جاء عهد ورثت فيه مدينة كربلاء كلا المدينتين: النجف والحلّة. ويبدو أن السرف في ذلك، هو أن كربلاء تجمع إليها ما في المدينتين؛ ففيها ضريح سيد الشهداء الحسين بن علي، وفيها الظلال والماء. وظلت كربلاء معهد الشيعة الأكبر، حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري. وبانتقال مهدي الطباطبائي، المعروف ببحر العلوم من كربلاء إلى النجف، استقرّ الأمر في النجف استقراراً كاملاً، كان من أكبر دعائمه شخصية مهدي نفسه، بما تحلت به من سجايا وفضائل، جعلت منه عالماً فذاً بين العلماء القادة. ثم أعقبه تلميذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء، فزاد الأمر إحكاماً، وعادت النجف مدرسة الشيعة الكبرى، ومعهدهم الأول، ودار هجرتهم العلمية حتى اليوم. ١٤ .

تاريخ العرفان :

مدعو العرفان يقولون انه يمكن ان تكون ظاهرة في كل مرحلة من مراحل الحياة الانسانية فكرا وسلوكا ، يشترك فيها والغني والفقير ، وصاحب اي ملّة سماوية فهو القاسم المشترك بين الأديان السماوية ، والارضية ، كما عند بعض الهنود ، "لفطرية الجهة العرفانية في الانسان ، فمنشأ العرفان الأصلي هو الفطرة الانسانية ، كما دلت عليه قصة بلعم بن باعوره التي حكى عنها القرآن ، فقد

كان أحد عرفاء زمانه ، إلا أنه قد وقع في مصائد الشيطان لعدم خلو نفسه تماما من شوائب "الأنايية" ١٥ .

ولا يختص العرفان بدين دون دين آخر، لأن الدين باعتباره نظاما تشريعيًا يبلى حياة معتنقيه ، فهو غير المعرفة التي هي الكشف الحقيقي لواقع النفس لذا قال سيد العارفين الامام علي « العارف من عرف نفسه » (نهج البلاغة) ، فبين الدين والعرفان عموم خصوص من وجه ، فبعض المتدينين عارف ، وليس كل عارف متدين ، والحال أن الدين طريق واضح يؤدي إلى العرفان ، لأن الدين يهدي إلى الزهد والزهد يهدي إلى عرفان النفس ، حقيقتها ولهذا قال الامام علي ع "من عرف نفسه فقد عرف ربه" ١٦ ، فإذا ما به اشتراك الأديان هو العرفان ، وما به تمايزها هو الدين من حيث التشريع . فجهة العرفان متجذرة في حياة الانسان وليست بأمر جديد ابتدعه ، فالعرفان لسان وترجمان القلب ، فهناك عمق اللامتناهي فوق اللامتناهي في الانسان لا يناله إلا بكأس العرفان.

الغنوصية : Gnose : كلمة يونانية تعني 'المعرفة' ، اصطلاح الدارسون على استخدامها لوصف عدد من الحركات الدينية في العالم الروماني القديم، كثير منها لا صلة له على الإطلاق بالمسيحية. وهي تيار ومذهب فكري مُعقد ذو فلسفات باطنية، بذل جهده لاكتساب المعارف الفلسفية الوثنية، مهملا الوحي الإلهي كأساس لكل معرفة لاهوتية، ومفسرا إياها تفسيراً مجازياً خالطاً بين النظريات الفلسفية الوثنية مع العناصر الذي نقلها مع العبادات الشرقية.

والغنوصية أو العارفية أو العرفانية Gnosticism هي مدرسة عقائدية أو فلسفية حلوية نشأت حول القرن الأول الميلادي ، ويعتقد البعض أن لها جذور وبدايات تعود

إلى القرون الثلاث الأخيرة قبل الميلاد في المجتمع السكندري لتبرير انتشار الديانة المصرية القديمة في الإمبراطورية الرومانية بجانب الديانات المحلية. أخذت الغنوصية طورا جديدا لدى ظهور المسيحية لإثبات تواؤم المعتقدين. وكانت لا تتعارض مباشرة مع الديانات التوحيدية كالمسيحية واليهودية ولكنها تم مقاومتها وقمعها من قبل الكنيسة منذ فترة مبكرة ١٧.

وقد يطلق على العرفان بالصوفية، والعرفاء بالمتصوفة، والصوفية هي: قول زكريا الأنصاري: التصوف علم تعرف به أحوال تركية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ١٨ .

وقول أبو الحسن الشاذلي: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية ١٩ .

المبحث الثاني :

المطلب الاول : خصائص المدرسة النجفية الفقهية، وادوارها.

لا يخفى ان للبيئة التي احتضنت هذه الحوزة تأثيرا كبيرا على تفكيرها ونتائجها ، فالنجف هضبة تقع على اطراف الصحراء ، الممتدة الى الجزيرة العربية ، وهي ارض منبسطة ، خالية من الجبال او الوديان ، كانت الحياة بها بدائية، تطل على الصحراء^{٢٠} ، الا انها حاضرة مدينية. لا توجد بها حركات وافكار باطنية غنوصية ، ولم تتأثر بالفلسفات الاشراقية المسيحية والفارسية والهندية. ويعتمد اقتصادها على التجارة ، وتسمى بالغري^{٢١} .

المدرسة الحوزوية في النجف واثرها :

ساهمت المؤسسات العلمية في النجف بظهور العلماء الاعلام في الفقه ، واضحى المتخرجون منها يمثلون فئة اجتماعية مؤثرة يسمون (برجال الدين) وهذا التأثير لا يقتصر على المجتمع النجفي بل يمتد تأثيره الى العالم الاسلامي، لأنها مدينة العلم ومدرسة الفقه ومقر المجتهدين والمراجع العليا ، وللحصول على التحصيل الفقهي ، لا يتم ذلك الا من خلال الانخراط في الحوزة العلمية والتي تمنح ثلاثة القاب هي : حجة الاسلام ، لمن لم يبلغ الاجتهاد بعد واستطاع ان يستنبط الاحكام الشرعية .

واية الله للذي بلغ الاجتهاد ، واية الله العظمى للمجتهد الذي صار مرجعا للتقليد ، تعد هذه الالقاب ضمن مراتب الاجتهاد . ولا يوجد منهج معين للدراسة تمكن الطالب الانتقال من مرحلة الى اخرى وعدم وجود مقياس للفحص الرسمي للمؤهلات المطلوبة، وقد تستغرق الدراسة اكثر من عشر سنوات . الا ان المهم في الامر حصول طالب الحوزة على الاعتراف من اعظم مجتهد يؤكد قابليته واهليته ليصبح بعد ذلك مؤهل لإصدار فتاوى ثم يتوجب عليه جمع اتباع ومريدين له ٢٢

ويلاحظ ان المدرسة الدينية لا تمنح القابا ، لمن بلغ درجة معينة في التفسير او علم الرجال او العقائد ، وليس لها اهتمام بالنواحي الاخرى المجاورة للعلوم الدينية كالعرفان والاخلاق والزهد والتصوف، والفلسفة ، وعلوم اللغة ، والادب ، علما ان هناك من الفقهاء الكبار ممن كانوا ينظمون الشعر ويتذوقونه، لكن الحوزة كمكان علمي لم تركز كثيرا على غير مباحث الفقه والاصول .

مراحل التطور في هذه المدرسة :

مرت المدرسة النجفية بأدوار عدة يمكن ذكر ابرزها:

١- مرحلة الشيخ الطوسي : الذي يعد مؤسس هذه المدرسة في القرن الخامس الهجري، بعد ان ترك بغداد ولجأ الى النجف ، عام ٤٤٨ هـ ، ولحقه عدد من طلابه الى النجف (٢٥) بحر العلوم، الجامعة العلمية في النجف عبر أيامها الطويلة^{٢٣} .

٢ -عصر الركود : تبدأ في الفترة ما بين وفاة الشيخ الطوسي وبدايات القرن العاشر الهجري، وقد ساعدت في الركود مجموعة من العوامل ، فبالرغم من نجاحات الشيخ الطوسي في مجالي الفقه والأصول وجهوده الكبيرة في الدفاع عن منهج الفقه التفريري واحكام قواعد الاستدلال والاستنباط والدعوة لها ٢٤ ، إلا أن عظمة شخصيته ومكانته العلمية هيمنتا على الوسط الشيعي، فمضت على علماء الشيعة سنون متطاولة وأجيال متعاقبة، ولم يكن من الهين على أحد منهم أن يعدو نظريات شيخ الطائفة في الفتوى، وكانوا يعدون أحاديثه أصلا مسلما، ويعتبرون التأليف في قبالتها وإصدار الفتوى مع وجودها تجاسرا على الشيخ وإهانة له.

٣ -عصر المحقق الأردبيلي : تمكنت المدرسة النجفية من استعادة مكانتها واسترداد مجدها وريادتها العلمية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، فطرات عليها ظروف فاعلة ومؤثرة وساهمت فيها مجموعة من العوامل التي ساعدت على ذلك، من قبيل ما قام به الحكام الصفويون من مد قنوات المياه إليها وتسهيل وصولها إلى ربوع المدينة، مضافا إلى الاهتمام بالجانب الأمني وبناء القلاع والأسوار المحيطة بالمدينة^{٢٥}. قد كان للمولى أحمد الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣ هـ والشهير بالمقدس والمحقق الأردبيلي الدور الكبير في التطوير العلمي والازدهار المعرفي في أوساط المدرسة النجفية، وخاصة بعد رواج منهجه الفقهي القائم على تتبع جميع زوايا

الأحاديث والاهتمام بصحيحة السند منها - وإن كان العلماء القدامى قد أعرضوا عنها وأهملوها - والاعتماد عليها، حتى لو كانت النتيجة المستوحاة منها مخالفة لمشهور العلماء، الأمر الذي مكّنه من استقطاب الكثير من الطلاب والفضلاء إلى حلقة درسه ٢٦ .

الاخباريون : شهدت المدرسة النجفية في العقد الرابع من القرن الحادي عشر ظهور المدرسة الإخبارية، التي رفع لواءها الميرزا محمد أمين الأسترآبادي المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ ، وكان قد تتلمذ في النجف على يد كل من صاحب المعالم وصاحب المدارك ، وحصل منهما على إجازة في الرواية. وقد وجه في كتابه "الفوائد المدنية" الذي صدر سنة ١٠٣٠ هـ نقدا لاذعا للمنهج الفقهي والأصولي المعتمد والقائم على تراث الشيخ الطوسي ، واتهم كبار الطائفة ومجتهديها بالانحراف عن طريق الأئمة من أمثال ابن الجنيد الإسكافي وابن أبي عقيل والشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي فضلا عن العلامة الحلي، فوجه إليهم البدعة والعمل بالقياس واعتماد قواعد الكلام وأصول الفقه القائمة على معطيات العقل البشري ٢٧ .

القضاء على الحركة الاخبارية :

كان "للأصولي الشهير محمد باقر بن محمد أكمل الشهير بالوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ دورا بارزا في التصدي للحركة الإخبارية التي أخذت تتسع رقعتها في النجف وكربلاء بحيث بلغ بها الأمر - قبل انتقال الوحيد البهبهاني إليها - إلى أن من يريد أن يمسخ كتابا للأصوليين يخشى التنجس به فيمسكه بخرقه، مبالغا في نجاستها، وذلك على حد تعبير تلميذ البهبهاني أبو علي الحائري المتوفى سنة ١٢١٦ هـ ٢٨ ، إن الحركة التي قادها البهبهاني في كربلاء أثمرت في النجف،

مع قدوم تلميذه محمد مهدي بن مرتضى الشهير ببحر العلوم والمتوفى سنة ١٢١٢ هـ، وقد تخطت الحوزة النجفية تلك المرحلة، وتجاوزت التقلبات التي حصلت في العصر الإخباري وصولاً إلى مرحلة جديدة^{٢٩} .

عصر الازدهار :

يمكن تحديد عصر الازدهار بالفترة ما بين القرن الثالث عشر وبدايات القرن الخامس عشر الهجري. وقد بدأت ملامح هذا العصر بالظهور مع الحركة الفكرية التي قام بها العلامة بحر العلوم بالتزامن مع كبار علماء وفقهاء مدرسة . فقد بذل تلامذة الوحيد البهبهاني ومدرسته، جهوداً كبيرة في الإجابة على الشبهات التي أثارها النهج الإخباري وإثبات ضرورة البحث الأصولي ومكانة القواعد الأصولية في

عملية الاستنباط^{٣٠}

في تاريخ هذه المدرسة ، يلاحظ ان المؤرخين عادة ما يذكرون السادة المجتهدين كفقهاء ، ومجديدين في الفقه والاصول ، وحتى الاخباريين هم يتبعون المدرسة الفقهية التي تعتمد الحديث الشريف بالدرجة الاولى في استنباطاتها الفقهية . ولم نجد تاريخاً مفصلاً يجمع مواقفهم السلوكية الروحية في حياتهم ، مع علومهم الاخرى ، وتأثير هذه السلوكيات على الاستنباط او تأثير الانعزال في انتاج معرفة فقهية معينة، الا بعض الشذرات هنا وهناك . واخيراً وجدنا مصنف السيد حسن القبانجي طبع مؤخراً في ثلاث مجلدات^{٣١} .

المبحث الثاني

المطلب الثاني : خصائص مدرسة العرفان :

المدرسة العرفانية بين الرفض والقبول:

"حاول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٩٨١م) أن يشرعن العرفان من زاوية النص الديني في كتابه «رسالة الولاية»، تماما كما حاوله بإيجاز تلميذه الشيخ مرتضى المطهري في كتابه «الإسلام وإيران» - ليحشد شواهد على هذا الموضوع، في خطوة تسعى لمواجهة تيار النص الذي كان يصارعه الطباطبائي في إيران وتواجهه المدرسة العرفانية في العراق أيضا، حيث الحواضر العلمية الدينية للشيعنة، متمثلا في بعض المرجعيات الفقهية^{٣٢}.

عد فريق من المحدثين والفقهاء الذين يمثلون التيار النصي الاتجاه الصوفي والعرفاني خارجا عن الإسلام بالمرة، وأجنبيا عن الثقافة الإسلامية، في محاولة تشبه في نتائجها ما قاله التيار الاستشراقي عن العرفان والتصوف، وفقا لما يقوله الشهيد مرتضى مطهري^{٣٣}.

الرفض لمدرسة العرفان: "كانت مدرسة العقل من زاوية الشرعية المعرفية قد وجهت سؤال هو السؤال الرئيس الذي وجهته المدرسة العقلية وغيرها، للعرفان الإسلامي، والاتجاه الصوفي، سؤال معرفي: إلى أي مدى تحظى المعطيات العرفانية بمصداقية؟ ومن أين تستمد مدرسة العرفان تلك المصداقية التي تضيفها على معطياتها؟"^{٣٤}. حاولت مدرسة الحكمة المتعالية لصدر المتألهين (صدر الدين الشيرازي ت (١٠٥٠هـ)، الاجابة عن هذا السؤال. فإن ما فعلته هذه المدرسة وغيرها من فلاسفة العرفان، كان محاولة للبرهنة - فلسفيا - على المعطى العرفاني المنكشف قلبيا وروحيا، وبهذا تمت عقلنة العرفان في نتائجه، أي أخضعت تلك

النتائج لأدوات التشريح العقلية والفلسفية، لينكشف البعد الصادق فيها، ويتم التأكد من جدواها عقليا ٣٥ .

وهنا يتساءل حب الله عن هذا المعطى : فاذا كان اتجاه عقلنة العرفان بهذا المعنى، قد بدأ منذ قرون، فإن ثمة حاجة شديدة ثانية لعقلنة العرفان من الزاوية المعرفية، فليست الحاجة فقط أن نستل من تجارب العرفاء معطيات هي في روحها وجودية، لكي نقوم بصوغها فلسفيا ضمن منظومات من التصورات المعقولة والمفاهيم العقلانية، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى دراسة الظاهرة العرفانية نفسها بوصفها منهجا وأسلوبا، بغية التحقق من جدوى الاعتماد عليها أداة لكشف الواقع وإدراك الحقيقة بنوع من أنواع الإدراك، إن مجرد تحويل المعطى / النتيجة إلى مفهوم عقلاني قابل للبرهنة عليه فلسفيا، لا يبرز — دائما — صحة المنهج الذي قدم لنا هذا المعطى، خصوصا وأن هناك خلافا واسعا في عدد كبير من المعطيات العرفانية^{٣٦} ، فليست الحاجة فقط أن نستل من تجارب العرفاء معطيات هي في روحها وجودية، لكي نقوم بصوغها فلسفيا ضمن منظومات من التصورات المعقولة والمفاهيم العقلانية، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى دراسة الظاهرة العرفانية نفسها بوصفها منهجا وأسلوبا، بغية التحقق من جدوى الاعتماد عليها أداة لكشف الواقع وإدراك الحقيقة بنوع من أنواع الإدراك، إن مجرد تحويل المعطى / النتيجة إلى مفهوم عقلاني قابل للبرهنة عليه فلسفيا، لا يبرز — دائما — صحة المنهج الذي قدم لنا هذا المعطى، خصوصا وأن هناك خلافا واسعا في عدد كبير من المعطيات العرفانية^{٣٧} .

ان العارف نفسه قد تشبهه عليّة الامور ، فما يعده كسفا ، قد يكون هو تداعيات للعقل الباطن ، وهذا الشكل بحد ذاته لا يجعل المنهج صحيحا، ويجعل الظاهرة

ذاتها في موضع شك . "وإذا كان العرفاء، قد أقرّوا بإمكان التباس الأمر على السالك نتيجة ما يسمّى عندهم بالالتباسات الشيطانية، أو ما يعبر عنه ابن خلدون (٨٠٨هـ) بقوله: «إن هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة» ٣٨ ، فإن السؤال يغدو أكبر حتى بالنسبة للعارف نفسه، عندما يستعيد قراءة تجربته بلغة داخلية عقلانية، إذ أنى له أن يجزم — موضوعيا — بصحة ما توصل إليه، وأنه ليس وهما أو خيالا؟ ٣٩ . في "العلوم البشرية العقلية ونحوها، يوجد ما يرشد العالم إلى معيار يزنها بها، كما هي الحال في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية الوجودية، ما يفسح المجال للدارس بإعادة تقييم ما تلقاه من قبل، بيد أن هذا المعيار غير واضح في المناخ العرفاني ما دامت الذاتية في اليقين، والتي يسميها المنطق العرفاني بالشهود والعلم الحضوري، هي الحكم، لا المعايير الموضوعية التي يراها العقل، إن التداول الواسع للنشاط العقلي يجعل مرجعية العقل أقرب إلى الواقعية، وإن كون العرفان حالة غير عامة — كما يقول العلامة الطباطبائي ٤٠.

معركة العقل مع العرفان :

اهل العرفان يردون على العقل في تساؤلاته : "بواسطة ادعاء أن ثمّة شيء وراء طور العقل يدركه القلب، وحينما يتساءل العقل عن معنى الإدراك القلبي أو يحاول التشكيك من منطلقاته الموضوعية، وهو تشكيك محايد، يسعى التيار العرفاني لصفحه بالقول: إن عالمك سافل أو ظاهري أو.. وأن ما عندنا أسمى من ذلك بكثير. إن مجرد توقف العقل لا يعني شرعية النتائج العرفاني، بل يعني عدم الدليل على عدم الشرعية، والفرق بين الأمرين هام وأساسي، إن العارف محق أوليا في مطالبته غيره

بعدم الإنكار، كما ركز على ذلك الإمام الخميني في «الأداب المعنوية للصلاة»
٤١ وغيره .

لكن لا يحق له استغلال سكوت العقل للتفلت من ضوابط، أو اعتبار سكوته
دليلاً على صوابه.^{٤٢} سيبقى العقل ينظر الى كون هذه النتائج أو الحالات حالات
نفسية أو عصبية محضة، أو أنها خيالات وأوهام و. و سيبقى من يعيش هذه الحالة
في نشوة اليقين الذاتي التي تجعله غير آبه بكل المعطيات العقلية. ويقولون بعدم
جدوائية الجهود العقلية في معرفة الحقائق، وهي ثقافة عرفانية سائدة.

انواع العرفان :

يقسم العرفان الى نظري والى عملي:

العرفان العملي : يعنى بالسير والسلوك ، بشكل خاص للوصول الى الكمال
الانساني ، ان محور هذا القسم من العرفان هو الاعمال القلبية والباطنية . وهو "
مجموعة من القواعد والقوانين المرتبطة بأعمال القلب وحالاته (الرياضات) في قالب
المنازل والمقامات التي يؤدي اتباعها للحصول على الكمال النهائي للانسان ()
التوحيد ومقام الفناء ومشاهده الحق)^{٤٣}

اما العرفان النظري : ينظر الى المعارف التوحيدية ، و" التعبير عن الحقائق والمعارف
التوحيدية ، اي الوحدة الشخصية للوجود ولوازمها ، التي يصل اليها العارف^{٤٤} "

بعض اقوال العرفانيين :

١ - في التكليف:

يعدون جميع العبادات والعقائد صحيحة ، سواء كانت وثنية او دنيوية او دينية ، وكما يقول ابن عربي : "فالكل مصيب لأنه من المطلق الحق ، فلكل حظ ونصيب وكل مصيب مأجور ، وكل مأجور سعيد ، وكل سعيد مرضي عنه".^{٤٥}

ويقولون ان كل الخلائق لا تعبد غير الحق في مختلف صورته وتجلياته ، وكما يقول الجيلي في تفسيره للآية القرآنية : { .. لا إله إلا أنا } طه : ١٤ هو انها تعني بان "الالهة المعبودة ليست الا انا ، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والافلاك والطباع وفي كل ما يعيده اهل كل ملة ونحلة ، فما تلك الالهة الا انا".^{٤٦}

٢ - التوحيد والشرك : بحسب الرؤية العرفانية فإن الوجود واحد حيث يتعدد بالصور المختلفة ، والشرك عند العرفاء عبارة عن اثبات التعدد بالوجود ، فإن من يرى الوجود عبارة عن حق وخلق ، وأنه ينزه الحق عن الخلق ، فانه يثبت اثنين في الوجود ، ويكون بهذا مشركا ، اي جاعل الحق ثاني اثنين ، وهذا هو كفره او ستره للوحدة الحقيقية . فالمنزه كالمشبه كلاهما واقعان بأثبات الاثنينية ومن ثم الشرك والكفر بستر الوحدة الحقيقية ، فهو كمن قال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وهكذا^{٤٧}.

المبحث الثاني:

الفتاوى الفقهية تجاه العرفان ، في مدرسة النجف المعاصرة :

ذهب كلا من السيد علي السيستاني (دام ظله) المرجع الاعلى في هذه المدرسة ، والشيخ اسحاق الفياض ، والسيد محمد سعيد الحكيم ، والسيد كاظم الحائري والسيد صادق الشيرازي ، الى عدم جواز اتباع العرفان والتصوف كمذهب ، وطريقة السلوك للوصول الى معرفة الله^{٤٨} .

١ - يقول الشيخ الفياض : "العرفان بمعنى كشف الحقائق ورفع الستار عن الحقائق كما هو مصطلحهم بمعنى كشف الحقائق والعلم بالغيب مجرد وهم ولا حقيقة له ولا واقع له وخلاف النص لقوله تعالى (لا يعلم الغيب الا الله ... "٤٩

(وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر) الأنعام ٥٩

٢ - اما السيد محمد سعيد الحكيم حين سئل عن العرفان فأجاب : هذه أفاظتبتني على دعاوى لا برهان عليها ، ولا تستقي من معارف أهل البيت (عليهم السلام) بوجه يصلح الاحتجاج عليه ، فاللازم الحذر ممن يدعي ذلك ، فإنهم بين مغفل مغلوب على أمره ومضلل مفتر يخشى منه على الدين والمؤمنين ، وربما يصل بهم الأمر إلى تحليل المحرمات وانتهاك الحرمات ، كما وصل إلى ذلك غيرهم وأنا لله وإنا إليه راجعون ، فإنه لا سوق لهذه الدعاوى إلا بين الناس البعيدين عن المعارف الحوزوية الأصلية ، بسبب ضعف الحوزة وقلّة الممثلين الصحيحين لها"٥٠ .

٣ - راي السيد السيستاني (دام ظلّه) اما راي المرجع الاعلى عن الامر ذاته حين سئل عن العرفان وسلوك بعض الناس للوصول الى الحقائق ، فكان جوابة على شكل بيان ، اختصرت النقل منه كالتالي :

"واننا نوصي عامة المؤمنين وفقهم الله تعالى لمراضيه بالثبوت وعدم الاسترسال في الاعتماد على مثل هذه الدعاوى ، فان هذا الامر دين يدان الله تعالى به ، فمن اتبع امام هدى حشر خلفه وكان سبيله الى الجنة ومن اتبع ضلال حشر معه يوم القيامة وساقه الى النار وليتأمل الجميع في هذا حال من كانوا قبلهم كيف وقع الكثير منهم في الضلال لاتباع امثال من ذكر، نسأل الله تعالى ان يجنب الجميع البدع

والاهواء ويوفقنا للعمل بشرعه الحنيف مقتدين بسيرة العلماء الريانيين انه ولي التوفيق" ^{٥١}. الا ان السيد السيستاني ، لا ينكر تزكية النفس وتهذيبها وهذا هو

العرفان الممدوح ، وقد عمل به العلماء الريانيون فيقول " :

لا شك في انه ينبغي لكل مؤمن العناية بتزكية النفس وتهذيبها عن الخصال الرذيلة والصفات الذميمة وتحليتها بمكارم الاخلاق ومحامد الصفات استعدادا لطاعة الله تعالى وحذرا من معصيته، الا ان السبيل الى ذلك ما ورد في الكتاب العزيز والسنة الشريفة من استذكار الموت وفناء الدنيا وعقبات الآخرة من البرزخ والنشور والحشر والحساب والعرض على الله تعالى، وتذكر اوصاف الجنة ونعيمها واهوال النار وجحيمها وآثار الاعمال ونتائجها، فان ذلك مما يعين على تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته والتوقى عن الوقوع في معصيته وسخطه كما اوصى به الانبياء والاوصياء عليهم السلام وعمل به العلماء الريانيون جيلا بعد جيل، وهذا طريق واضح لا لبس فيه، ولا عذر لمن تخلف عنه، وانما يعرف حال المرء بمقدار تطابق سلوكه مع هذا النهج وعدمه، فان الرجال يعرفون بالحق ومن عرف الحق بالرجال وقع في الفتنة وضل عن سواء السبيل" ^{٥٢} . يجيب الشيخ حيدر حب الله، على تحفظ المراجع على العرفان بقوله "إن مظاهر الفوضى التي شهدتها الساحة الإسلامية، قديما وحديثا، بحجة المنحى العرفاني، والتلاعب المتعمد وغير المتعمد بعقل الناس ووعيتها، هو ما يجعلنا متحفظين إلى هذا الحد، إن فوضى الادعاءات، واختلاق الخلايا، وتجاوز المنطق والشريعة، والهراطقة بأفكار لا معنى لها من جانب البعض، والكذب والدجل المتعمد من جانب آخرين، والتوهّم والخيال الزائد من جانب فريق ثالث.. ذلك كله يساعد اليوم أيضا على خلق نتوءات في المجتمع تربكه،

وتعيد فيه معالم النكوص، ومظاهر عصر الانحطاط، ذلك كله بحجة أن العقل لا شأن له بهذا العالم، وأن الفقهاء وعلماء الشريعة وأصحاب الاختصاصات الإنسانية والطبيعية سطحيتون ظاهريون لم يطعموا من لذيذ العرفان شيئاً؛ فلا يحق لهم الحديث أو حتى النبس بينت شفة: ٥٣.

المطلب الثاني : العرفان السلوكي في مرجعية النجف :

يلاحظ المتتبع لسيرة اغلب الفقهاء الكبار في مرجعية النجف الاشرف ، انهم كانوا اصحاب عرفان سلوكي عملي واخلاقي ، وان اغلب التحفظات كانت ترد على العرفان النظري ، الذي يبتعد كثيرا عن الظاهر، والطريق العقلي الاصولي للوصول الى الحقائق الشرعية ، اما العرفان السلوكي العرفاني فقد اشتهر به شخصيات علمائية كثيرة مثل السيد اية الله محمد حسين الحسيني الطهراني الذي تأثر بالسيد هاشم الحداد والسيد علي القاضي ، ومحمد حسين الطباطبائي (الشمس المنيرة، السيد محمد محسن الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ) ، وقد درس في حوزة النجف الاشرف وتلمذ على ابرز علمائها. كالسيد الفقيه حسين الحلبي وغيرهم .

ونلاحظ في هذا النص ما اخذه السيد الطهراني من الاخرين في السير والسلوك الاخلاقي بلا تحفظ يذكر من قبل المعاصرين له ، وهذا يدل على مقبولية السلوك العرفاني الاخلاقي الذي لا يؤثر على المعارف الشرعية العقلانية والظاهرية .

" لقد كان العلامة الطهراني في معاشرته ومصاحبته لا يتجاوز أعلام أهل العرفان والسلوك إلى الله وتمييزهم، الجامعين بين الطريقتين الظاهري والباطني، ممن هم متبحرون في كلتا الجهتين: الشريعة والطريقة، كالعلامة الطباطبائي ، الفيلسوف والحكيم على الإطلاق والعارف الواصل، وكذلك المرجوم آية الله الحاج

السيد جمال الدين الموسوي الكلبايكاني، والمرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد جواد الهمداني الانصاري، والمرحوم آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي، والمرحوم آية الله الحاج الشيخ عباس هاتف القوجاني، وكذلك كان بالنسبة إلى بعض تلامذة المرحوم القاضي ، ومن طرف آخر، كان لديه علاقة بالأساتذة البارزين الحوزويين في جميع الفنون، ومن مختلف الأنظار والآراء، مما أوجب له حصول نضوج وتبلور وجامعية في مدركاته وتبصره وتعمقه في جوهر التشريع وأصوله، ومنهاج حضرة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ومسلكهم، جامعية متميزة، تبتني على محورية المعرفة والحق واليقين، وبلوغ نفس الأمر بتمام معنى الكلمة، والعمل على أساس ذلك، والالتزام به في مختلف الظروف، دون أدنى تسامح أو تهاون، أو مجاملة نابغة من الكثرات الضالّة والمضلة، وبعيدا عن منافع الأفكار الفاسدة" ٥٤ .

. وقد اثر السيد الطهراني في ابرز الفقهاء في ايران السيد مرتضى المطهري ٥٥ .

المبحث الثالث: ابرز النماذج العرفانية في مدرسة النجف :

يرى الباحث في تاريخ مدرسة النجف، بعض النماذج العرفانية، المعتدلة التي لا تجعل من الكشف والشهود القلبي الاساس المعرفي في الاحكام الفقهية التي تصدر الى المقلدين ، بل يراعون الاصول المتبعة لاستنباط الحكم الشرعي . سنذكر هنا مثال او مثالين لعلماء اجلاء كانت لديهم محاولات عرفانية معتدلة

الاول : السيد المجتهد علي القاضي : الذي يعد من ابرز المراجع العرفانيين في مدرسة النجف الاشرف والذين كتبوا في العرفان وكانوا من المجتهدين . هو علي القاضي الطباطبائي (١٢٨٥ - ١٣٦٦ هجرية / ١٨٦٨ - ١٩٤٦ ميلادي) ، هو عارف و

فيلسوف ومفسر ومرجع ديني أصله من تبريز، عاش أغلب حياته في النجف الاشرف، وكان أستاذا للأخلاق والسير والسلوك، تتلمذ على يديه العديد من العلماء والمراجع، ومنهم محمد البهاري و أحمد الكربلائي، وغيرهما. عمل بالتدريس في الحوزة العلمية. توفي في النجف ودفن فيها في مقبرة وادي السلام وهو: الميرزا علي بن الميرزا حسين بن الميرزا أحمد بن الميرزا رحيم القاضي الطباطبائي التبريزي الملقب بقاضي الطباطبائي. ولد سنة ١٢٨٥ هجري قمري في مدينة تبريز، وقد نشأ في أسرة علمية موسومة بالفضل والاحترام. هاجر الى النجف عام ١٣١٣ هـ. وحضر درس كل من الفاضل الشرياني، والشيخ محمد حسن المامقاني، وشيخ الشريعة الاصفهاني، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والميرزا حسن الخليلي.^{٥٦}

“وبعد ان انهى دراساته العلمية في الفقه والاصول اتجه تزكية نفسه بشكل كامل برعاية ثلثة من عرفاء عصره، وعلى رأسهم السيد مرتضى الكشميري الذي تتلمذ على يديه عشر سنوات والسيد احمد الكربلائي الذي قضى معه سنوات عديدة في مناهج السلوك والشيخ محمد البهاري وكلاهما من تلاميذ حسين قلي الهمداني الذي ينسب مجموعة من عرفاء النجف الاشرف وفي غضون عدة سنوات طلب منه السيد احمد الكربلائي ان يتولى معه تربية تلاميذه. وطبعا السيد القاضي كان قد امضى فترات طويلة قبل مجيئه الى النجف الاشرف في تزكية نفسه. وكان والده قد امره في اوائل شبابه ان يحضر عند استاذ الاخلاق العارف {امام قلي النخجواني} في تبريز، عدة ساعات في اليوم. وكان استاذة الذكر هو الذي وضع حجر الاساس في البناء العرفاني لشخصية السيد القاضي”^{٥٧}.

عبادته :

كان السيد يتخفى بعبادته عن الأعين، الا في اداء الفرائض التي كان يأتي بها جماعة مع صفوة تلاميذه البالغين من السبعة الى العشرة اشخاص في منزله أو في احدى غرف المدارس الدينية، واما اعماله العبادية الاخرى فقد كانت له غرفة في مسجد الكوفة يتبعد بعد الساعة الثانية عشر ليلا حينما تهدأ العيون ويغط الطلبة الساكنون في النوم فيبدأ السيد القاضي مناجاته ومزاولة اوراده واذكاره بصوته الجميل الذي يأخذ بقلوب من يصغي اليه. ٥٨. كان المرحوم القاضي آية عجيبة بلحاظ العمل، فأهل النجف - وخاصة أهل العلم منهم - يمتلكون عنه قصصا و حكايات، و كان يعيش في غاية الفقر والفاقة مع عائلة كبيرة، لكنه كان غارقا في التوكل و التسليم و التفويض و التوحيد بحيث ان هذه العائلة لم تحرفه عن مسيره قيد شعرة.

كان للمرحوم القاضي اليد الطولي في تفسير القرآن الكريم و معانيه، و كان المرحوم أستاذا العلامة الطباطبائي يقول: لقد علمنا المرحوم القاضي هذا النحو من التفسير آية فآية، فنحن نقتفي اثره و نهجه في التفسير. كما كان يمتلك ذهنا متفتحا مضاء في فهم معاني الروايات الواردة عن الائمة المعصومين، حيث تعلمنا منه طريقة فهم الاحاديث التي تدعي بفقته الحديث.

و كان المرحوم القاضي في تهذيب النفس و الاخلاق و السير و السلوك في المعارف الالهية و الواردات القلبية و المكاشفات الغيبية السبحانية و المشاهدات العينية فريد العصر و حسنة الدهر و سلمان الزمان و ترجمان القرآن ٥٩.

ثانيا : السيد عبد الاعلى السبزواري (قدس) :

هو السيد عبد الاعلى بن العلامة السيد علي رضا بن السيد عبد العلي الموسوي السبزواري ، ولد في سبزوار خراسان في ايران ، ١٣٢٩هـ، نشأ في احضان الفضيلة والعرفان ٦٠

، نشأ وترعرع في كنف أبيه وتحت رعايته فتعلم القراءة والكتابة في سن مبكرة ثم درس الأوليات في النحو والصرف والمنطق وبعض المتون الفقهية حتى أكمل مرحلة السطوح؛ عند ذلك قرر والده إرساله إلى مدينة مشهد لإكمال دراسة السطوح كما درس العرفان والتفسير عند الشيخ حسن علي الاصفهاني النخودكي ثم هاجر إلى مدينة النجف لإكمال دراسته الحوزوية، وأخذ يحضر دروس أساتذتها المعروفين محمد حسين النائيني، وضياء الدين العراقي، ابو الحسن الاصفهاني، ثم استقل بتدريس البحث الخارج في الفقه الأصول في مسجده الذي كان يقيم فيه صلاة الجماعة بمحلة الخويش في النجف والى في اثناء ذلك موسوعته الفقهية مذهب الاحكام وهي من أكثر الموسوعات الفقهية معالجة ومفسرة للنصوص الدينية بطريقتة وفهم عرفي ووجداني وهو ما يعبر عنه في مصطلح الدراسات التقليدية في الحوزة الذوق الفقهية حيث كان اية الله السبزواري صاحب رؤية وذوق فقهية عالي انعكس على موسوعته وسائر تصنيفاته وفي عرض ذلك كان له دور في التفسير والفلسفة فتخرج على يديه العديد من الفضلاء واصبح من كبار مراجع الشيعة والمفسرين حيث يعد تفسيره مع تفسير الميزان في الصدارة من تفاسير الشيعة ويعد السبزواري من رموز علماء العرفان والاخلاق الشامخين وله كرامات كثيرة يتناقلها الناس ومذكورة في بعض الكتب وقد كتبت دراسات كثيرة عن حياته واخرى ماجستير ودكتورا عن منهجه الفقهية والأصولية والتفسيري وقد طبعت كلها واخيرا قامت العتبة العلوية المقدسة بطباعة احدها وقد اقيمت له

مؤتمرات علميه في النجف من قبل كلية الفقه وفي قم وسبزووار من قبل الحوزة العلمية واصدرت الهيئة المشرفة على المؤتمر تسعة مجلدات متعلقة بحياة وفكر ومنهج السبزواري في موسوعاته الفقهية والأصولية والتفسيرية ٦١ .

الخاتمة و خلاصة البحث :

ان مدرسة النجف لا تحرم العرفان بصورته العملية المعتدلة، الذي يحث على الزهد ونقاء القلب والسريرة، وعيش الحياة الروحية الصافية ، وتاريخ المراجع بالنجف حافل ، بهذه الصور المعتدلة ، الا ان المدرسة الفقهية لا تعترف بالكشف والشهود لاكتساب الحقيقة الشرعية ، كما لا تعترف بالتفسيرات البعيدة لآيات القران الكريم ، والاحاديث الشريفة ، فهي لا تؤمن بالباطنية في التأويل والعبور من الظاهر الى الباطن ، والاسقاطات النفسية والاعتبارية على النصوص . هذه المدرسة تؤمن بالربط المحكم والمنضبط بين المقدمات والنتائج ، بينما المنظومة العرفانية تقفز الى النتائج لادنى سبب ، وان كانت تدعي الكشف وانه عملية برهانية خاصة .

الملخص :

الجميع يعرف ان مدرسة النجف الفقهية الحوزوية هي مدرسة اصولية عقلية في الغالب ، وان لديها ضوابط صارمة للاجتهاد الفقهي، و لديها تقاليد عريقة للبحث الاصولي والفقهي ، وهي مدرسة تعنى في الاساس بهذا الجانب ، الا ان ذلك لا يعني انها قد انعدمت فيها المشارب السلوكية ، او الطرق الروحية ، للوصول الى معرفة الله وعبادته بالوجه الحق ، وسلوك الطرق الخاصة بالزهد والتعفف ، والتنسك والاعتكاف من اجل التعلم والعبادة ، بل ان اغلبية المراجع الكبار في حوزة النجف هم من الزهاد الورعين عما في ايدي الناس، وبهجرة الحياة ، وغالبا ما يعيشون شظف العيش ، والابتعاد عن بهرجة والفخامة في المسكن والملبس .

من هنا يتناول هذا البحث موقف هذه الحوزة من علم العرفان ، وما هو المذموم منه ، وما هو خارج نطاق الشريعة ، والدين الاسلامي ، وما هو مقبول منه. و علاقة العرفان بمذهب اهل البيت، واسباب انتشاره في قم ، بدلا من النجف ، وما الاسباب التي دعت اغلب المراجع الى تحريمه، ولا يعدونه مذهبا صحيحا. وهل يمكن حدوث تغيير في هذه النظرة اذا ما تغيرت مفاهيم العرفان الى النوع المعترف به اسلاميا. ودراسة انموذج عرفاني نجفي حديث يمكن ان يبين لنا كقراء- الصفات التي يتحلى بها العرفان النجفي ، ومدى اختراقه للمنظومة الكلامية الرسمية للحوزة العلمية في النجف .

اسباب البحث : كثرت في الآونة الاخيرة في الاوساط الشبابية والثقافية ومواقع التواصل الاجتماعي نزوع نحو قراءة الادبيات الصوفية والعرفانية ، وانتشار الموسيقى وحلقات الرقص المولوي ،يكاد يكون اكتساحا للساحة الدينية ، وصارت هناك تساؤلات عدة عن موقف المدرسة الامامية من العرفان ، وبالذات الحوزة النجفية ، التي يلاحظ عليها غياب مظاهر العرفان كما يفهمه البعض.

فرضية البحث : ان المدرسة الامامية النجفية قد ميزت بين نوعين من العرفان ، فبحسب تعريف العرفان لدى جماعة ما ، يتم اصدار الحكم عليه ، فهناك عرفان ممدوح و عرفان مذموم، . وهناك عرفان نظري و عرفان عملي سلوكي اخلاقي والنوع

الثاني لا يتعارض مع المدرسة الاصولية العقلية

من هنا جاء البحث على مباحث ثلاثة :

الاول : التحديدات المصطلحية والتعريف بالمدرسة النجفية ، والمدرسة العرفانية مع

عرض تاريخي مبسط لكل منهما .

الثاني : خصائص المدرسة الاصولية النجفية ، وادوارها.

وخصائص المدرسة العرفانية ، وذكر انواعها المتطرفة والمعتدلة وذكر الفتاوى بحقها .

الثالث : نموذج نجفي عرفاني ، حديث ، والحراك الاجتماعي المعاصر وانتشار التدين العرفاني على حساب التدين الفقهي التشريعي، التقليدي.

الخاتمة ونتائج البحث

ثم المصادر والمراجع والهوامش.

علما ان البحث هو اشارات سريعة وعاجلة ، لموضوع واسع ، يمكن ان يرسم لنا ملامح التميز في مدرسة النجف الفقهية ، ومالها وما عليها.

الهوامش والمصادر:

(١) ظ: ويكيبيديا، النجف .

(٢) ظ: الجوهرى ، الصحاح ، مادة فقه ..

(٣) ظ: الحكيم ، محمد تقي ، الاصول العامة للفقه المقارن ، تعريف الفقه . .

(٤) قاموس المعاني/ ar-ar/dict/ ar-ar/ <https://www.almaany.com/> حوزة/

(٥) ويكيبيديا .

(٦) قاموس المعاني/ ar-ar/dict/ ar-ar/ <https://www.almaany.com/> حوزة / .

(٧) الحيدري ، كمال ، العرفان الشيعي: ن : مؤسسة الامام الجواد ع للفكر والثقافة ، ٢٠١١ ، قم ، ص ١٢ .

(٨) اليزدي ، محمد تقي مصباح رسائل القيصري ، رسالة التوحيد والنبوة ، تر: محمد عبد المنعم الخاقاني ، دار الحق ، قم ، ص ٢٠-٢١ ..

(٩) <https://forums.alkafeel.net/showthread.php?t=269313> .-

- (١٠) بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤ ، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٥٣..
- (١١) (ظ: المطهري، مرتضى، الفرق بين الاخلاق والعرفان، العرفان ص١٥-١٧)
- (١٢) م.ن
- (١٣) ويكيبيديا.
- (١٤) <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>
- (١٥) <https://www.google.com/amp/s/ruhaniyaa.wordpress.com/٢٠١٤/١١/٢٢/>
- دروس العرفان/٢/amp/.
- (١٦) نهج البلاغة.
- (١٧) <https://www.marefa.org/> غنوصية .
- (١٨) هوامش على رسالة القشيري، ص ٧ .
- (١٩) حامد صقر، نور التحقيق، ص ٩٣ .
- (٢٠) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ط٢، (بيروت ١٩٧١)، ص ٩٤..
- (٢١) ظ : شهاب الدين ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، (بيروت ١٩٧٧)، ص١٣١، وكذلك جمال بابان ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية، ج١، (بغداد ١٩٦٥) ص٣٠٠.
- (٢٢) بيل، م س، ص ٩٢. كذلك : ظ : عبد الله ، حسن علي (الدكتور) ، موقع جامعة القادسية <http://qu.edu.iq/repository/wp-content/uploads/٢٠١٦/١١/Copy-of-المرتكزاتالنجفيةفياستقرارالحوزةالعلمية.doc>
- (٢٣) شمس الدين، محمد رضا، ص ٦٧-٦٨ .
- (٢٤) محمد بن حسن الطوسي، المبسوط في فقه الامامية، ج ١، ص ٣-١.
- (٢٥) احمد مجيد عيسى، الدراسة في النجف، ص ٧٣٢.
- (٢٦) حسن الصدر، تكملة أمل الأمل، ج ١، ص ٩٨، ٣٢١.
- (٢٧) ظ: الاسترآبادي، الفوائد المدنية، ص ٣٧، ٧٨، ٩٦.
- (٢٨) المازندراني الحائري، منتهى المقال في أحوال الرجال، ج ٦، ص ١٧٨ .

- (٢٩) ظ: الأمين، أعيان الشيعة ج ١٠، ص ١٥٨-١٦٣ .
 ، كذلك/http://ar.wikishia.net/view/حوزة_النجف_الأشرف .
- (٣٠) ظ: بحر العلوم، الجامعة العلمية في النجف عبر أيامها الطويلة، ص ٨٠ .
- (٣١) حياة الفلاسفة و العرفاء ، نشر الكلية الاسلامية الجامعة عام ٢٠١٦ في النجف ، ومؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٤ .
- (٣٢) حب الله ، حيدر ، العرفان الإسلامي ، بين الإشكالية المعرفية والآلية التربوية والمنحى الواقعي/<http://hobbollah.com/articles/> العرفان الإسلامي .
- (٣٣) مرتضى مطهري، المجموعة الكاملة ١٤ : ٥٥٢ .
- (٣٤) حب الله : م س .
- (٣٥) حب الله ، م س .
- (٣٦) حب الله ، م س .
- (٣٧) حب الله ، م س .
- (٣٨) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة: ٤٦٤ .
- (٣٩) حب الله ، م س .
- (٤٠) العلامة الطباطبائي، مجموعة مقالات ١ : ٣٩ .
- (٤١) الخميني روح الله، الآداب المعنوية للصلاة: ٣٠١-٣٠٧ .
- (٤٢) حب الله ، م س .
- (٤٣) ظ: پناه، يد الله يزدان ، العرفان النظري مبادئه واصوله ، ترعاس الموسوي ، مؤسسة الفكر لتنمية الحضارة الاسلامية ، ص ٧١ و ٨٢ .
- (٤٤) م س ، ص ٧٠ و ٨٣ .
- (٤٥) شرح فصوص الحكم : ص ٤٤١ و ٤٥٩ .
- (٤٦) الجيلي ، عبد الكريم ، الانسان الكامل في معرفة الاوائل والواخر .
 تج: صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٣ .
- . ٣٩

(٤٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، دار احياء التراث العربي، ط ١، ١٩٩٨، ج ٤ ، ص ١١٠. ظ
كذلك : محمد ، يحيى الفلسفة والعرفان والاشكالات الدينية، دار الهادي، ط ١، ٢٠٠٥، بيروت
، ٤١٥ .

(٤٨) موقع هجر على الانترنت ، ينقل فتاوى المجتهدين ويذكر الروابط التي حصل عليها لهذه
الفتاوى(٤٨) <http://hajrnet.net/hajrvb/showthread.php?t=٤٠٣٠٢٦٩٧٢>
(٤٩)

<http://www.alfayadh.com/site/index.php?show=news&action=article&id=٢>.

(٥٠) <http://alhakeem.com/arabic/pages/quesans/search.php> ٣٩ .

(٥١) بيان وزع في مكاتب السيد مورخ ب ٢٨ / ربيع الاول / ١٤٣٢ هـ شبكة هجر، م س ٣٩ .

(٥٢) بيان السيد السيستاني، م س .

(٥٣) حب الله، م س .

(٥٤) الشمس المنيرة، ص ٦٥ .

(٥٥) م ن .

(٥٦) / www.ar.wikideia.org علي_القاضي .

(٥٧) <https://www.alhussain-sch.org> .

(٥٨) م ن .

(٥٩) <https://alwareth.com/> .

(٦٠) . القبانجي ، حسن ، حياة الفلاسفة والعرفاء، ن الكلية الاسلامية الجامعة، مؤسسة

الاعلمي للمطبوع، بيروت، ط ١، ٢٠١٤، ج ٣، ص ٥٤٤

(٦١) www.ar.m.wikipedia.org ويكيبيديا .

دور القرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة خطابات المرجعية الدينية

-سنة الإبتلاء الإلهي أنموذجاً-

م.م محمد علي عبود المرعبي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، أما بعد:

تعدُّ خطابات المرجعية الدينية مُمثلة بخطب الجمعة التي تلقى في مدينة كربلاء المقدسة حلقة من حلقات الإتصال بين المرجعية الدينية العليا والمسلمين كافة، لأن هذه الخطب تعبر عن الفهم الدقيق للإسلام في ضوء القرآن الكريم وفكر الأئمة المعصومين □.

ولا شك أن خطبة الجمعة لها مكانة سامية، وأهمية بالغة.. فهي تتميز بمزايا وتختص بخصائص لا تتوفر في أي نوع من أنواع الخطب الأخرى، سواء من حيث مكانها وزمانها، أو حكمها، وحال المخاطبين بها...

ومن هنا كان الإهتمام بخطابات المرجعية من أولويات الباحث مسلطاً من خلالها الضوء حول أثر وميزة خاصة تتمثل ببيان أثر القرآن الكريم و السنة المطهرة في صناعة خطابات المرجعية الدينية، ولما كان الأمر بهذه المثابة والأهمية أحببت أن أسهم من خلال هذا البحث بالعودة إلى قراءة خطابات المرجعية الدينية بأجمعها، عودة تفهم واستكشاف، واستهداء واستبصار، فكان أن وفقني الله لهذا الموضوع: (دور القرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة خطابات المرجعية الدينية-سنة الإبتلاء الإلهي أنموذجاً-)، وكان من زيادة التفضل والإكرام أن تنطلق الدراسة فيما أحسب من قراءة معمقة حول إحدى خطب الجمعة التي ألقى في سنة ٢٠١٦م والتي

كان موضوعها يدور حول (سنة الإبتلاء الإلهي)، وكان خير أنموذج إبتدئ به في تلك السنة لما فيها من علم غزير وحسن تذوق للنصوص القرآنية والروايات الشريفة. أما أهمية البحث فتكمن في إبراز العناية الخاصة في القرآن الكريم والسنة الشريفة في خطابات المرجعية الدينية كونها الأساس لتلك الخطابات وعليها المعتمد واليه المرجع في زمن نسمع فيه دعوات فجأة للإعراض عنه، والتقليل منه، والتشكيك في أهميته.

أما أسباب إختيار الموضوع فهي كالآتي:

١- ضرورة التنبيه على أن كلا من القرآن الكريم وروايات المعصومين □ شكلت الركيزة الأساس والدعامة الرئيسة في خطابات المرجعية الدينية، لما فيهما من دور كبير في صناعة الإنسان وبنائه .

٢- أهمية الإشارة إلى أن خطابات المرجعية الدينية لعبت دورا مهما في إحياء القيم والمبادئ الإسلامية، وبالتحديد ما صار البحث بصدده بيانته ودراسته وهو (سنة الإبتلاء الإلهي) والتي تعرضت له إحدى خطابات المرجعية الدينية، وبطبيعة الحال قد تمت الخطبة بكافة مباحثها مستنيرة وجاعلة القرآن الكريم وروايات أهل البيت □ الأساس لها.

٣- إن كل خطبة من خطب الجمعة تمثل منحا فكريا وبعدها معرفيا بحيث أن كل خطبة تكون باعثا ومحركا لأذهان العلماء والباحثين لإدراك أبعادها وسبر غورها لفهم مقاصد المرجعية الدينية ومراميها.

٤- كون هذا البحث يتناسب مع أكثر من محور من المحاور المندرجة في المؤتمر (المحور الأخلاقي) و (المحور الثقافي) وخصوصا (المحور الفكري) الذي يعنى بدراسة نتائج المرجعية الدينية، فمن هذا المنطلق ولأهمي الموضوع جاءت هذه الدراسة.

ومن أجل هذا شرعت في الكشف عن جانب مهم من جوانب مختلفة في خطب الجمعة، وقد ظهر لي أن المرجعية الدينية في خطاباتها تسعى إلى الإهتمام بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا وتفسيرا، والإلتزام بسنة رسول الله ﷺ حفظا وسلوكا، والسعي على نشرها وتعليمها، وتكوين الشخصية الإسلامية المتفاعلة مع قضايا الأمة المعاصرة، وكذا مساعدة المؤمنين في فهم قضايا الإسلام فهما صحيحا والدفاع عنها من منظور القرآن الكريم والسنة الشريفة.

بناء على ما تقدم، إقتضت طبيعة البحث أن يكون مقسما على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

هذا ولا يمكنني أن أدعي بأني قد أعطيت الموضوع حقه من العناية والإهتمام، فالإنشغال بهكذا مواضيع تحديدا يحتاج معه إلى تضافر في الجهد العلمي لدى الباحث للكشف عن مكان هذا الموضوع في خطابات المرجعية الدينية.

ولا يفوتني بالطبع إن كنت قد خصصت أحدا بعظيم التقدير وبالغ الشكر والامتنان فإني أخص القائمين على إقامة هذا المؤتمر المبارك لأنها تتيح للباحثين فرصة البحث والتنقيب والدراسة والتحليل في موضوعات مهمة وعملية لما يخص المرجعية الدينية.

المبحث الأول: البعد التأثري للقرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة

خطب الجمعة

من الأمور التي أود الإشارة إليها في هذا المبحث هو السبب وراء إختيار لفظة (الصناعة) في عنوان البحث دون غيرها من المفردات، وذلك أن لفظ (الصناعة) يطلق ويراد منها بحسب ما أشار إليه الراغب الأصفهاني بقوله: ((الصنع: إجادة الفعل))^١، وهذا المعنى

الذي نقلته عن الراغب يتناسب مع مراد الباحث في الموضوع الذي نحن بصدده، إذ أن (الصناعة) تعني العمل المتقن على نحو يوصف به بأنه جيد وخارج عن حد الرداءة. فعلم من المعنى المعجمي اللغوي لمفردة (الصناعة) أن المرجعية الدينية كانت بارعة في بناء هيكلية خطاباتها فالناظر لها يلمح أن المرجعية الدينية ذات خبرة ومهارة في توظيف النصوص القرآنية والحديثية لتأليف الخطبة.

تأسيساً على ما قدمناه، فقد اتسمت خطابات المرجعية الدينية بأنها قائمة على إقناع المسلمين كافة واستمالتهم إضافة للتأثير عليهم، ويعود السبب وراء إكتسابها قوة التأثير هو تضمينها للآيات القرآنية وروايات المعصومين □، ومما يلفت النظر أن بناء وهيكلية خطب الجمعة كان معتمداً على الآيات القرآنية والروايات المعتمدة، وقد كان هذا ناشئاً من حسن اختيار النصوص القرآنية والروائية المؤثرة والتي لها مساس في الواقع المعاصر، وكذا مما ينبغي الالتفات إلى أن من ثمار وأهداف خطب الجمعة أنها ترسم ملامح الواقع الإنساني-أفراداً ومجتمعاً. وكذا تقعد وتقتن وتؤسس للمستقبل القادم والذي يطلق عليه برأفاق التطوير، كل ذلك انطلاقاً من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والتي تحملت مسؤولية بيان الفضائل العظيمة والأخلاق الفاضلة مثل: الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والإنفاق في سبيل الله، والتكافل، والعطف على الضعيف، والأرملة، واليتيم، والمسكين، والاستقامة، والوفاء بالعقود والعهود، وطاعة ولاة الأمر، والإخلاص والصدق، والتعاون على البر والتقوى، والرحمة، والحياء، وحب العلم، والتأخي، والتعاضد السلمي... وما إلى ذلك مما قد أشبعت بحثاً في خطابات المرجعية الدينية وتحديدًا في خطب الجمعة والتي امتلأت بمثل تلك العناوين وغيرها مما لا يسعنا الإشارة إليها.

وبهذا نخلص إلى أن خطابات المرجعية الدينية واقتناصها للآيات القرآنية والأحاديث المعتمدة وتضمينها لها لم يكن جزافاً وإنما كان عن وعي تام وشعور حي فيما لو صيغت تلك الخطابات في قوالب خاصة.

المبحث الثاني: أبرز ملامح خطبة الجمعة المختارة

ولتحديد أبرز هذه الملامح سيذكر البحث أموراً عدة:

الأمر الأول: إن الإبتداء بمثل هذه الخطبة في يوم (الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٧ هـ الموافق ١ كانون الثاني ٢٠١٦م) والشروع بعنوان (سنة الإبتلاء الإلهي) يمهد للتأقلم والتطبع مع الحوادث والمكاره والفتن التي أصابت المجتمعات، والتي ستصيبها مستقبلاً، وكأنه فيه إشارة إلى أن النكبات التي حصلت أو التي ستحصل ما هي إلا سنة الله في خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾^٣، وقوله تعالى: ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾^٤.

الأمر الثاني: صدرت الخطبة الشريفة بمقدمة ابتدأت بالتحميد والتمجيد والتهليل لله عزوجل والشهادة على أن محمداً □ وعترته الطاهرة هم صفوة الله في خليقته، وبعدها ذكر (المرجع الأعلى) أدامه الله وصيته ينبغي التذكير بها وهو يوصي ويذكر نفسه أولاً وكعادته في جميع خطبه، مما ينبئ عن الخلق الرفيع والعالي الذي تتسم به شخصيته المباركة، فيقول: ((أوصيكم عباد الله تعالى وقبل ذلك أوصي نفسي بتقوى الله تعالى، ومراقبته في ظواهركم وسرائركم، فإن المؤمن دائم الرقابة لربه، ودائم المحاسبة لنفسه))^٥.

ثم يضيف ما يمهد للدخول في مضامين خطبته قائلاً: ((واعتبروا بأحوال الأمم من قبلكم لتصبروا على ما ابتلاكم الله تعالى به، فتفوزوا بعظيم الدرجات وجزيل المثوبة))^٦.

إن من يتأمل نص ما أبداه حفظه الله يرى أنه قد ابتدأ ذكراً منهج التعامل مع البلاء الإلهي وكيفية التخلص منه، فذكر قضية حسية وهي الإيعاض من الأمم السالفة، وما ذلك إلا لأجل التصبر على ما نبتلى به، فتكون العاقبة بالفوز الكبير والثواب العظيم.

والناظر إلى النص المتقدم يلحظ أن شخصية المرجع ذائبة في الآيات القرآنية والروايات الشريفة فتكاد لا تفرق أحياناً بين كلامه وكلام المعصوم □ لشدة تعلقه به وكثرة قراءته للنصوص القرآنية والحديثية بحيث نجدها ممزوجة معه تكاد لا تفارقه، فإن ما ذكره في النص المتقدم هو مضمون بعض الآيات القرآنية وبعض الروايات الشريفة وهذا ما قصدناه في البحث من أن للقرآن الكريم والروايات الشريفة أثر في صناعة الخطبة من أولها إلى آخرها.

الأمر الثالث: شرع بعد الإنتهاء من تلك الوصايا المتقدمة برواية عن الإمام الصادق □ يظهر أنها قد جُرئت وتمت الإستفادة من مضامينها العالية في أكثر من موضع في خطب الجمعة، وناسب أن يعرج المرجع الأعلى حفظه الله بذكر هذه الرواية خدمة لما هو سيكون بصدده بخصوص (البلاء الإلهي) ولما فيها إشارات لمسألة (الإبتلاء الإلهي)، فذكر قائلاً: ((ما زلنا في رسالة الإمام الصادق □ لشيئته ومحبيه التي قال عنها □: ((هذا أدبنا أدب الله فخذوا به وتفهموه واعقلوه ولا تنبذوه وراء ظهوركم))^٧)).^٨

وبالتأمل مما تقدم ذكره يظهر للباحث ثلاثة مسائل يجدر التعرض لها:

المسألة الأولى: إن إحياء ونشر القيم والمبادئ الإسلامية مبني على النظر والاستفادة من القرآن الكريم والسنة الشريفة متمثلة بروايات المعصومين □، وما يسترعي الإنتباه أن قوام ونظام الخطبة كان معتمدا ومتكأ على ما نص عليه الإمام الصادق □ في رسالته ، وهذا ينبئ عن الدور الأساس الذي تقوم به روايات المعصومين □ وأثرها في صناعة خطابات المرجعية الدينية.

المسألة الثانية: إن انتخاب هذه الرواية الحاكية عن (سنة الإبتلاء الإلهي) والشروع به في عام جديد آنذاك لم يكن من فراغ بل كان أمرا ملتفتا إليه من قبل المرجعية الدينية، وحيث أن ظاهرة الإبتلاء الإلهي سارية في جميع الأمم السابقة والحالية، فكان من الضروري إبداء هذه الظاهرة ودراستها وتناولها من جديد فيما لو فرضنا أنها قد ماتت في نفوس بعض الناس وتناسوا أو نسوا وجود مثل هذه السنة والقانون الإلهي الحاكي عن إبتلاء الله لعباده وأنها تمثل إحدى أهم القيم والمبادئ الإسلامية.

المسألة الثالثة: لعل قائلًا يقول: أن الخطبة لماذا لم تستند إبتداء على أي من الذكر الحكيم لبيان هذه الظاهرة وخصوصا أن القرآن الكريم قد تكفل ببيان بعض الإبتلاءات التي رافقت الأنبياء □ في دعوتهم ورسالتهم لهداية الناس؟

ويأتي الجواب مستفادا مما ذكرته الخطبة في تتمّة رواية الإمام الصادق □ إذ أثرت المرجع الأعلى حفظه الله على ذكرها والشروع بها، لأن نظر ورؤية المرجع الأعلى ترمي إلى أن البدء بمثل هذه الرواية المباركة يكون بمثابة المرشد والدليل إلى هذه الظاهرة، وتأسيسا على ما ابتداء به أولا يذكر الآتي: ((نصل إلى هذا المقطع الذي يتحدث فيه الإمام □ عن مسألة الإبتلاء إبتلاء الله تعالى لعباده، وأن هذا الإبتلاء يكون في الشدة والرءاء، ويعلمنا كيف نواجه هذا الإبتلاء، فيقول □: ((فتدبروا ما قص الله عليكم في كتابه مما ابتلى به أنبياءه وأتباعه المؤمنين ثم سلوا الله أن

يعطيكم الصبر على البلاء في السزاء والضراء والشدة والرخاء مثل الذي أعطاهم))^٩
 ((١٠.

ومن خلال ما تقدم، يبدو أن المرجع الأعلى حفظه الله وضع الحجر الأساس والخطوة الأولى لمعالجة الابتلاء الإلهي، وهذه الخطوة عبارة عن التأمل والتفكير في قصص الأنبياء والمرسلين لما فيها من العبرة والموعظة، وكيفية الاستفادة منها بخصوص ما قاموا به من التصبر على ما أصابهم بمختلف أشكال التصبر وفي ظروف مختلفة، فإذا أعطينا مثل هذا الصبر الذي أعطاهم الله إياه نكون قد اجتزنا أولى مراحل معالجة الابتلاء الإلهي، هذا ما تمت استفادته من ظاهر الرواية المباركة.

وكذا يستفاد مما تقدم أن سبب جهل الناس بالسنن الإلهية هو وقوعهم في الغفلة عن تدبر سنن الله تعالى، تلك الغفلة التي وقع فيها الكثير من الناس بسبب هجر القرآن تلاوة وفهما وتدبرا وعملا، والى هذا أشار القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فيتنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشدّ متهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾.

ومن هنا نلاحظ أهمية ابتداء الإمام □ الرواية بلفظ (فتدبروا) لما تقدم بيانه أنفا.

المبحث الثالث: سنّة الابتلاء الإلهي، حكمته، أهدافه، ألوانه، ووسائله
 ذكر المرجع الأعلى حفظه الله الهيكل العام للبحث في خصوص هذا العنوان، فشرع وقال: ((في هذه الخطبة سنبين أن الابتلاء سنّة الله في الأرض، وأن لهذا القانون الإلهي الثابت حكمته وفلسفته، ثم نتحدث عن ألوان الابتلاء، وما يكون منه في الرخاء والشدة والرخاء، ووسائل دفع هذا الابتلاء))^{١١}.

تأسيساً على ما عرضه، يرى الباحث أنه من الضرورة أن يتم تقسيم تلك العناوين إلى مطالب متعددة حتى يسهل فهمها وإدراكها ودراستها وفق النظر التحليلي لها، فكان أن انقسم البحث إلى خمسة مطالب، وهي كما يلي:

المطلب الأول: الإبتلاء الإلهي سنة الله في الأرض

لا بأس أولاً وقبل البدء بما طرح في الخطبة بخصوص ما نحن فيه بالإشارة إلى المعنى اللغوي للفظـة (السنة) ليستسيغ لنا فهمها عند إضافتها لـ(الله)، فيذكر الأصفهاني أن: ((السنن جمع سنة، وسنة الوجه طريقته، وسنة الرسول □ طريقته التي كان يتحراها وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (١٢)) (١٣).

ذكر في الخطبة المباركة أنه ((قد بينت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أن الإبتلاء الإلهي بمعنى الإختبار والإمتحان، سنة الله في الأرض، وأن هذا القانون الإلهي لا يبد منه لكل الأمم والشعوب، ولكل الأفراد مؤمنين وكافرين)).

تأسيساً على ما ذكر، يرى الباحث أن ما طرحه المرجع الأعلى من بيان معنى (الإبتلاء الإلهي) هو المطلب الأساس وعليه تبتني المطالب الأخرى، إذ أن هذا التحديد لازم وضروري فلا بد منه، بالإضافة إلى أنه قد أشار حفظه الله أن السنن الإلهية شاملة لجميع الأفراد في المجتمع بلا فرق بين ديانة وأخرى مسلماً كان الفرد أو كافراً.

ثم يقيم المرجع الأعلى على ما بنى عليه أدلة من القرآن الكريم، وهي كما يقول و: ((لذلك وردت في الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ (١٤) لماذا؟ ﴿لينبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ (١٥)، ثم في آية أخرى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون سلطان ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (١٦)) (١٧).

إن المتأمل في إستدلالة حفظه الله في الآية الأولى والثاني يلحظ أن الإستفادة من الآية القرآنية وتقطيعها يساعد على تدبرها وفهم مغزاها، وهذا ما قام به سماحته. بناء على ما تقدم، يذكر المرجع الأعلى أمرا بمثابة النتيجة الأخيرة التي توصل إليها بعد التدبر في الآية الأخيرة الذكر وهي حتمية القانون الإلهي الحاكم بر(الإبتلاء) فيقول: ((إذن الإبتلاء أمر لابد منه، وهو شأن الحياة الدنيا، فهي دار ابتلاء واختبار خلق فيها الإنسان، لكي يختبره الله تعالى ويمتحنه كما بينت هذه الآية القرآنية))^{١٨}. ثم يضيف بما يهون علينا الأمر ويشد من عزمنا على التصبر قائلا: ((وأفضل البشرية وهم الأنبياء تعرضوا للإبتلاء كما يذكر الإمام الصادق))^{١٩}، ثم يذكر بعد ذلك مراتب الإختبار فيصرح بأن مراتبها متفاوتة ومختلفة بحسب الأشخاص أنفسهم، فيقول: ((وتختلف درجة الإختبار وشدته من شخص إلى آخر))^{٢٠}.

المطلب الثاني: الإنسان المؤمن في ظل الإبتلاء الإلهي

تخاطب المرجعية الدينية الإنسان بوصفه مؤمنا بالسنن الإلهية بأن الإمتحان والإختبار لا يفارق الإنسان طيلة مراحل حياته، وإن الإنسان كلما ازداد إيمانه ازداد بلائه، وهذا ما صرحت به الروايات الشريفة، فيذكر المرجع الأعلى ما نصه: ((أيها الإخوة، إن المؤمن يميز بامتحانات متوالية في كل مراحل حياته، ولا تخلو الحياة من الإختبار، إذا تخلص من ظالم أو من حاكم ظالم فلا يتصور أنه تخلص من الإبتلاء، كلا، فبعد أن يخلص الله تعالى عباده المؤمنين من هذا الحاكم الظالم سيبتليهم بامتحان أشد من الإمتحان الذي مرؤوا به بتسليط الظالم عليهم، وكلما زيد في إيمان الإنسان زيد في بلائه، كما ورد في الحديث الشريف))، ثم ذكر بعد ذلك ما يغنينا عن التعليق على كلامه السابق، فيقول: ((إنما نذكر هذه الأمور لكي نوفر لأنفسنا الإستعداد والتهيؤ للنجاح في هذه الإختبارات والامتحانات))، ثم يأتي بتنظير لما قدمه

أنفا، فيقول: ((كما هو حال الطالب لا بد أن يستعد ويتهيأ للنجاح في الإختبار، ولذلك وسائل سببها من أجل النجاح في هذا الإختبار)).

ثم يعود المرجع الأعلى مخاطبا جمع المؤمنين والمؤمنات بما يفسر عبارته السابقة والتي قال فيها ((وكلما زيد في إيمان الإنسان زيد في بلائه، كما ورد في الحديث الشريف)) مبينا مرتبة الإنسان عند الإبتلاء الإلهي وكذا مشيرا إلى أشد الناس إبتلاء في الدنيا وهم الأنبياء والأوصياء وذلك من خلال مراجعة بعض الروايات في هذا الصدد، فيقول ما نصه: ((أيها المؤمنون والمؤمنات، إذا زيد في بلائكم اكتشفوا من هذه الإبتلاءات وتزايدها أن لكم مرتبة عند الله تعالى أراد أن يخبركم من خلال هذا الإبتلاء، فلا يتصور المؤمن أن هذا الإبتلاء نعمة بل هو نعمة من الله تعالى، ولذلك ورد الحديث الشريف: ((إن أشد الناس بلاء النبيون، ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل))^{٢١} فأفضل الناس وهم الأنبياء أشد منهم إبتلاء ومواجهة للأذى والمشاكل، ((ويبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخط إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه))^{٢٢}، وفي حديث عن الإمام الكاظم □ يقول: ((المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه))^{٢٣} ٢٤.

إنطلاقا من مدلول ما أفادته الرواية الأخيرة يسلم المرجع الأعلى الضوء عليها من خلال النظر والتأمل في دلالتها، فيقول: ((هاتان الكفتان نضع في إحدهما الإيمان وفي الكفة المقابلة الإبتلاء؟ فإذا زادت كفة الإيمان زادت كفة الإبتلاء، لذلك حينما يرى الإنسان المؤمن تتابع الإبتلاءات عليه، لا يخرج من ابتلاء حتى يدخل في آخر فلا يظن أنه انتقام فيضجر منه، بل ذلك نعمة من الله تعالى لكي يرفع منزلته ولأسباب أخرى))^{٢٥}.

المطلب الثالث: أهداف الإبتلاء من منظور القرآن الكريم

لخص لنا المرجعية الدينية أهم الأهداف التي تعرضت لها الآيات القرآنية في نقاط ثلاث، واحدة منها صرح بذكر بعض الآيات القرآنية عند ذكر الهدف وراء الإبتلاء وإثنان منها لم يشير إلى الآيات القرآنية صريحا ولكن مضمون كلامه لو تأملنا فيه نجده عبارة عن مضامين لآيات قرآنية عديدة، وسيسرد البحث هذه الأهداف تباعا مع التركيز على الهدف الثاني المضمن لبعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المصرح بها في الخطبة، وهي كما يلي: يقول سماحته حفظه الله: ((إذن أيها الأخوة والأخوات، الإبتلاء أمر لا بد منه وهي سنة الله تعالى جرت على جميع الأمم والشعوب وعلى جميع أفراد البشر، فما الغرض من الإبتلاء؟ وما حكمته؟ نذكر هنا بعض الأهداف التي وردت في الآيات القرآنية:

أولا: أن تظهر حقيقة الإيمان وحقيقة الصفات الإيمانية، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، فالله تعالى لا يكتفي من عباده أن يدعوا أنهم مؤمنون وأنهم على استعداد للجهد والتضحية في سبيله، والصبر والتوكل عليه وغير ذلك من الصفات، بل المطلوب أن يظهر حقيقة الإيمان وأن تظهر هذه الصفات...

ثانيا: من الأسباب الأخرى للإبتلاء كما ورد في الآية القرآنية: ﴿ ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب.. ﴾ (٢٦) ٢٧.

لم يكتف المرجع الأعلى بسرد بالبيان القرآني لأحد أهداف الإبتلاء الإلهي وإنما انطلق بذكر أحد أبرز مصاديق الإختبار في حياة الإنسان المؤمن، وكما يلي: ((فما أكثر من يدعي حب الإمام الحسين □ وموالاته، ولكن في مواطن الإختبار لا يظهر صدق هذا الولاء والحب للإمام الحسين □، تجده ليس على استعداد أن يضحى بمقدار بسيط من المال، أو بشيء يسير من راحته وماله وحياته ومواقفه وامتيازاته في سبيل

أن ينصر الإمام الحسين (ؑ))^{٢٨}، ثم يأتي بشاهد صدق على ما أفاده، فيقول: ((يقول الإمام الحسن (ؑ) في هؤلاء: ((إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما دزت معاشهم))^{٢٩}، يعني التدين على لسانهم فقط، ((إذا مُحْصُوا بالبلاء قل الديانون))^{٣٠}))^{٣١}.

ثم يذكر المرجع الأعلى حفظه الله حكمة أخرى للإبتلاء وهي ((التنبيه والإيقاظ))^{٣٢}، ثم يذكر بعد ذلك شرحا وتوضيحا لهذه الحكمة الإلهية ثم ينتهي بقوله: ((بل ورد في بعض الروايات حتى الوخزة البسيطة للإنسان يريد الله تعالى أن ينبه الإنسان بها على أن هناك شيئا يرتكبه من المعصية أو الذنب أو الإبتعاد عن الله تعالى، ويريد الله تعالى أن تعود إليه))^{٣٣}.

ثالثا: من الأهداف المهمة للإبتلاء والإعداد والتأهيل وصقل المواهب وتنميتها، فالصبر والتوكُّل والثقة بالله تعالى والجهد والتضحية هذه صفات تكاملية، يريد الله تعالى أن يؤهل الإنسان المؤمن إليها ويتصف بها وترسخ فيه وتصلق))^{٣٤}

المطلب الرابع: الإنسان المؤمن وألوان البلاء الإلهي

إن ما طرحه المرجع الأعلى فيما يخص أنواع البلاء الإلهي يعدُّ من أهم المطالب التي ذكرت في خطبة الجمعة، وذلك لأنها ترسم صورة كاملة تكون أشبه بالخارطة المعرفية فتحكي الواقع المشاهد وترشد إليه مما يخرج خطابات المرجعية من حيز الكلام والتنظير فقط إلى الشعور بالمسؤولية تجاه الفرد والمجتمع، لذا سيذكر البحث هذه الألوان على شكل نقاط مرتبة رقمياً ووكما يلي يذكر سماحته حفظه الله:

١- ((الابتلاء بالخوف، والجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، هذا نوع من الابتلاء أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ٣٥)) ٣٦.

٢- ((ومن أنواع الابتلاء، الابتلاء بالكفار، وهذا أيضا من الابتلاءات التي ربما نبتهل بها في الوقت الحاضر، وابتلي به المسلمون في زمن النبي ﷺ... نحن الآن في معركتنا مع من يدعي الإسلام وهو بعيد كل البعد عن الإسلام، تجد أن هؤلاء يمدون بالسلاح والإسناد من مختلف الجهات، ونحن ربما- ليس لدينا مثل هذا الإستعداد، قد نواجه أحيانا نصرا وأحيانا نواجه تراجعا، قد تطول المعركة، هل نحن على إستعداد بثقتنا بالله تعالى وتوكلنا عليه أن نديم هذا القتال ونصبر ونتحمل إلى أن يأذن الله تعالى بالنصر؟، يقول الله تعالى أنا قادر على نصركم لكن أريد أن أراكم، أريد أن أختبر مدى تحملكم ومدى ثباتكم، ومدى قوة اعتقادكم بالله تعالى، لذلك وصف القرآن الكريم هذه الحالة بقوله: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ﴾ ٣٧، أي لديهم قوة تفوق قوتكم ﴿هَنَالِكِ ابْتَلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ٣٨، وفي آيات أخرى يقول الله تعالى أنا قادر (على) ٣٩ نصركم لكن أريد أن أختبركم ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْتَصِرَ لَهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ٤٠)) ٤١.

تأسيسا على هذا انبرى سماحة المرجع حفظه الله وبالأستفادة من هذه الآيات القرآنية إلى ذكر قضية بارزة في المجتمع وقد اعتاشها الجميع إذ يقول: ((وربما يواجه بعض المسلمين حاكما ظالما، وتطول مدة ظلمه، ويواجه المؤمنون أشكال التعسف والإرهاب والتضييق عليهم وتطول المدة، هنا يبتلى المؤمنون، هل هم على إستعداد

أن يثبتوا ويصبروا ويتحملوا؟ وهنا تظهر حقيقة الإيمان ومرتبته لدى هؤلاء المؤمنين))^{٤٢}.

٣- ((ومن الإبتلاءات الأخرى الي يبتلى بها الإنسان ضيق المعيشة والفقر أو الأمراض، كما ورد في هذا الحديث عن الإمام الصادق □: ((كلما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته))^{٤٣}، فبناء على هذا ((من يبتلى بالفقر وضيق المعيشة فلا يتصور أن هذا سخط وانتقام من الله تعالى بل هو ابتلاء يريد الله تعالى أن يختبر به صبره، وقد يبتلى الإنسان أحيانا بالأمراض والعلل والأسقام بفقدان حاسة من حواسه كحاسة البصر أو حاسة السمع، لذلك ورد في كثير من الأحاديث: ((ذهاب البصر مغفرة للذنوب، وذهاب السمع مغفرة للذنوب، وما نقص من الجسد فعلى قدر ذلك))^{٤٤})).

ما أعظم مدلول ما أفادته الرواية الشريفة التي نقلها المرجع الأعلى حفظه الله، وما أحوجنا لمثل هذه الروايات المؤثرة في نفوس الناس والمسكنة لقلوب من ابتلوا بمثل هذه الإبتلاءات.

٤- ((ومن الإبتلاءات التي يبتلى بها المؤمنون أيضا إبتلاء التأديب، ما هو ابتلاء التأديب؟ قد يبتعد الإنسان عن الله تعالى ويرتكب معصية أو يقلل إيمانه، فيؤدبه الله تعالى بهذا الإبتلاء لكي يعود إليه))^{٤٥}، وذكر لنا بعد ذلك ثلاثة مصاديق تندرج تحت ذلك النوع من الإبتلاءات وهو (إبتلاء التأديب)، وهي جميعاً عناوين مستفادة من مضمون بعض الآيات القرآنية والروايات الشريفة، وهي كما يلي:

أ- قوله: ((ومن جملة ذلك نقص الثمرات، وحبس البركات كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين □: ((إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس

البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب))^{٤٦}، فهذا الإبتلاء خير و نعمة من الله تعالى لنا ((ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر))^{٤٧} ((٤٨.

بـ قوله: ((ومن جملة الإبتلاءات تسليط الأشرار والظالمين، فإذا ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتلاكم الله تعالى بأن يسلم عليكم الأشرار والظالمين، لذلك ورد في الحديث: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهئن عن المنكر، أو ليستمعن عليكم شراركم، فيدعو خياركم، فلا يستجاب لهم))^{٤٩} ((٥٠.

جـ قوله: ((ومن جملة الإبتلاءات توالي الأضرار المقصود منها غلاء الأسعار، وقصر الأعمار، وخسران التجارة، وحبس البركات، والأمراض، لذلك ورد في الحديث عن النبي ﷺ: ((إذا غضب الله على أمة ولم ينزل بها العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم تريح تجارها ولم تزك ثمارها ولم تغرز أنهارها وخبس عنها أمطارها وسلط عليها شرارها))^{٥١} ((٥٢.

الخاتمة ونتائج البحث

هكذا إذن يتحدد أثر القرآن الكريم والروايات الشريفة في منظور هذا البحث ويتبين طبيعة مشاغله في خطب الجمعة، فمن تحليل هذه المشاغل ارتسمت لنا نظرة أخرى إلى خطابات المرجعية هي غير النظرة التقليدية الشائعة القاضية بأن الخطابات الدينية عبارة عن تجميع للنصوص القرآنية والحديثية فقط دون اتخاذه منها لها، بل أننا خلصنا إلى أن أبرز محاور إهتمامها تشكل أرضية خصبة لتطوير تعاملنا مع القرآن الكريم والروايات الشريفة وتغيير عاداتنا في النظر إليها.

إن أبرز ما يمكن استخلاصه من تناولنا لهذا البحث هو أن نتائج البحث كانت على قسمين في البحث:

القسم الأول: النتائج التي خرج بها البحث

القسم الثاني: النتائج التي ارتسمتها المرجعية الدينية في خطبة الجمعة المختارة

وسأعرض كلتا النتيجتين معا نظرا لأهمية الإشارة إليهما:

١- كشف البحث عن الصنعة والمهارة والدقة في خطابات المرجعية الدينية وتحديدًا

في خطب الجمعة ببيان أبرز مراحلها وخطواتها ونسقها وأنها تأطرت بمنهجية متسقة

وهيكلية تامة بحيث تمتاز بكونها بحثًا شاملاً ومتكاملاً ذا مقدمة ومباحث

وخاتمة.

٢- أبرز البحث موضوعاً ينبغي أن يتناول بالدراسة والتحليل والتقييم، وكشف عن

أهميته، مبيناً أثر القرآن الكريم والسنة الشريفة في صناعة خطابات المرجعية

الدينية.

٣- بين البحث أهم المستندات التي اعتمدت عليها خطابات المرجعية الدينية، وكان

من أبرزها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

٤- أبان البحث عن أن المنهجية المتخذة للمرجعية الدينية حيال جميع خطاباتها -

المضمنة للنصوص القرآنية والحديثية كانت إنتقائية، ولم تكن عشوائية، إذ

يتم إختيار تلك النصوص بحسب ما تدعوا الحاجة إليه وفيما يخص موضع

الإستشهاد به، حتى أن أغلب عناوين الخطب تتخذ من تلك النصوص القرآنية

والحديثية.

٥- ذكرت المرجعية الدينية في نهاية خطبة الجمعة المختارة في بحثنا والحاكية عن

موضوع (الإبتلاء الإلهي) خاتمة لخصت من خلالها الموضوع المزمع بيانه، وذكرت

جملة من الأمور التي تصلح أن يختتم بها البحث وهو مما يمكن أن يدخل تحت عنوان

(النجاح في ظل الإبتلاء الإلهي ووسائله)، وفيما يلي سأعرض ما جاء في نهاية

الخطبة: ((أختم هذا الحديث الذي ورد عن الإمام الصادق □، وهنا يأتي السؤال: كيف

يُمكن أن ننجح في هذا الإختبار؟ من جملة ذلك أن نعتبر هذه الإبتلاءات وهذه المصائب وهذه الهموم وهذه الكربات التي تنزل علينا إنما هي نعمة من الله تعالى وليست نقمة، لذلك الإمام الصادق □: ((لن تكونوا مؤمنين حتى تغدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة))^{٥٣}، إذا عددناها نعمة وتفهمنا وتدبرنا كما في مضمون كلام الإمام الصادق □: تدبروا حين تقرأون آيات القرآن، لاحظوا الله تعالى كيف ابتلى الأنبياء الذين هم أفضل البشر؟ كيف ابتلى عباده الصالحين أشد الإبتلاءات، فصبروا وتحملوا وواصلوا الطريق آخر حياتهم، فعلى الإنسان أن يتحمل ويصبر حتى يصل إلى الهدف، ومن الوسائل المهمة للنجاح في الإختبار الدعاء، عليكم بالدعاء أكثر من الدعاء والإستغفار: ((ثم سلوا الله أن يعطيكم الصبر على البلاء في السراء والضراء والشدة والرخاء مثل الذي أعطاهم))^{٥٤}، هذا الذي أعطاهم، ووصلوا به إلى هذه المرتبة الرفيعة سلوا الله تعالى أن يعطيكم مثله))^{٥٥}.

الهوامش :

١. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٩٣.

٢. خطب الجمعة توثيق وتحقيق لسنة (٢٠١٦م) (١٤٣٧-١٤٣٨هـ)، مج ١٢، ج ١: ١١-٢١.

٣. سورة الأحزاب / ٦٢.

٤. سورة الفتح / ٢٣.

٥. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١١.

٦. م. ن، مج ١٢، ج ١: ١١.

٧. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تح: علي أكبر الغفاري: ١٢/٨.

٨. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١١.

٩. الكافي: ١٣/٨.

١٠. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١١-١٢.

١١. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٢.

١٢. سورة الأحزاب / ٦٢.

١٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين محمد: ٢٤٥ .
١٤. سورة الملك / ٢ .
١٥. سورة الملك / ٢ .
١٦. سورة العنكبوت/ ٢- ٣ .
١٧. خطب الجمعة تحقيق وتوثيق، مج ١٢، ج ١: ١٢ .
١٨. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٢ .
١٩. م.ن: ١٢ .
٢٠. م.ن: ١٢ .
٢١. الكافي: ٢/ ٢٥٩ .
٢٢. م.ن: ٢/ ٢٥٢ .
٢٣. تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٠٨، الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي: ٦٣١ .
٢٤. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٣ .
٢٥. م.ن: ١٣ .
٢٦. سورة الأنفال / ٣٧ .
٢٧. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٥-١٦ .
٢٨. م.ن: ١٦ .
٢٩. تحف العقول: ٢٤٥، بحار الأنوار، المجلسي: ٤٤/ ٣٨٣ .
٣٠. المصادر نفسها .
٣١. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٦ .
٣٢. م.ن: ١٦ .
٣٣. م.ن: ١٦ .
٣٤. م.ن: ١٣-١٧ .
٣٥. سورة البقرة / ١٥٥ .
٣٦. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٧ .
٣٧. سورة الأحزاب / ١٠ .
٣٨. سورة الأحزاب / ١١ .
٣٩. زيادة من الباحث يقتضيها سياق الكلام .
٤٠. سورة العنكبوت / ٢٥ .
٤١. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٧-١٨ .
٤٢. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٨ .

٤٣. الكافي: ٢/٢٦٢ .
٤٤. كنز العمال، المتقي الهندي: ٣/٢٧٧ .
٤٥. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٤٦. شرح نهج البلاغة: ٧٦/٩ .
٤٧. م.ن: ٧٦/٩ .
٤٨. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٤٩. شرح نهج البلاغة: ٧٦/٩ .
٥٠. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٥١. الكافي: ٣١٧/٥ .
٥٢. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ١٩ .
٥٣. تحف العقول: ٣٧٧ .
٥٤. الكافي: ١٣/٨ .
٥٥. خطب الجمعة توثيق وتحقيق، مج ١٢، ج ١: ٢٠-٢١ .

المصادر والمراجع المعتمدة

خير ما نبتدى به القرآن الكريم

- ١- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١، ١٩٥٩م.
- ٢- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد العروف برالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم دار الشامية، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٣- الحراني، الحسن بن علي بن الحسين شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ٤- خطب الجمعة توثيق وتحقيق، العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

- ٥- الطوسي، محمد بن الحسن، آمالي الطوسي، تح: بهراد الجعفري- علي أكبر الغفاري، طهران، دارالكتب الإسلامية، ط ١، د. ت.
- ٦- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، د. ت.
- ٧- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال، بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ط، ١٤٠٩هـ.
- ٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الأعلمي، د. ط، ١٤٢٩هـ.

المرجعية الدينية منهجية الإسلام الأصيل

م. حيدر محمد هناء الشلاه

جامعة بابل / كلية العلوم الإسلامية/ قسم علوم القرآن

المقدمة

الحمد لله الذي نهج لعباده سبيل الخير والصلاح، وأمرهم باتباعه لنيل الفوز والفلاح، وصلى الله على أفضل الخلق محمد أنيس النفوس والأرواح، وعلى آله الطيبين الطاهرين كلما أظلم ليل وأضاء صباح.

وبعد، فإن الله تعالى تفضل على عباده أن جعل لهم أنبياء وأئمة هداة وأدلاء على الحق والخير والعدل والهدى ودعاة إليه، وكان أهم ما ثبته هؤلاء الهداة (عليهم السلام) بعد الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، تحديد ضوابط الدولة الإلهية العادلة، وكشف الزيف والظلم والطغيان الذي مارسه أئمة الجور، وحكام الضلالة وجماعات البغي، وهذه هي المعركة الأزلية الأبدية بين الحق والباطل، التي تتحد في الأفكار والمفاهيم وتختلف في الأشخاص والمصاديق. فقد كان أول مصداق لها يمثل الحق والعدل هو هابيل بن نبي الله آدم (عليه السلام) في قبال قابيل الذي كان يمثل الباطل والظلم، واستمر هذه المعركة إلى نبي الله إبراهيم نبي الهدى والإيمان الذي قابله النمرود حاكم الجبروت والطغيان، وصولاً إلى النبي محمد رسول الحكمة والرحمة الذي قابله أبو جهل وأبو سفيان ومن لف لفهما، وقد سار الأئمة الطاهرون على نهج جدهم الرسول في ترسيخ رسالة السماء وكشف أباطيل أعداء الإسلام، وحفظ حمى الإسلام والمسلمين، وبرزت هنا المقولة المشهورة أن في كل زمان حسين ويزيد، بل قال أحد المفكرين المعاصرين: إن الإمام الحسين لم يكن ليقاقل شخصاً اسمه يزيد بن معاوية، وإنما قاقل المنهج الأموي الضال المضل، وصدق

بمنهج الإسلام الأصيل الواضح. ويظهر ذلك من أقوال الإمام الحسين وشعاراته الخالدة ومنها، ((وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي رسول الله وأبي علي))^١ وفي سبيل ذلك ضحى الإمام الحسين بروحه الطيبة ودمه الطاهر وأهل بيته الكرام وأصحابه الأمجاد.

وفي وقتنا الحاضر تستمر المعركة بين طرفي الحق والباطل، ومما لا شك فيه أن الحق يتجلى بأبهى صورته في المرجعية الدينية العليا التي تعد الامتداد الطبيعي لمنهج الرسل والأنبياء والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، وذلك بما صدر منها من مواقف ناجعة ورائعة، رائدة وخالدة، كانت لها الأثر الكبير في رد الظلم والطغيان، ودفع الشبهات والأباطيل التي يثير المغرضون ممن يدعون الإسلام وهو منهم براء.

لقد تعددت الرؤى الحكيمية التي جادت بها هذه المرجعية الرشيدة المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني بتعدد الابتلاءات التي تعرض لها المجتمع الإنساني والإسلامي، فكانت هذه الرؤى بلسما لجراحات الناس، يحكي عن قيادة ربانية ورعاية أبوية تشمل الجميع من دون استثناء، ولا غرابة في ذلك فهو من مدرسة أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تقول: ((الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))^٢

في ضوء ما تقدم ارتأى الباحث كتابة بحثه هذا والذي يتضمن التعريف بالمرجعية الدينية، وبيان أهميتها، ومن ثم مرجعية السيد السيستاني (دام ظله)، ثم انتقاء عدد من المواقف التاريخية التي صدرت من مرجعية السيد السيستاني (دام ظله) التي كان لها أبلغ الأثر في تهدئة الأوضاع وحفظ النفوس، وقبل كل ذلك حفظ تعاليم الإسلام وإظهاره بصورته البهية الأصيلة، ودرء الشبهات عنه.

المطلب الأول: مفهوم المرجعية الدينية وأهميتها:

المرجعية من الناحية اللغوية مركبة من المرجع وياء النسبة وتاء المبالغة وأصل

كلمة المرجع هورجع أو الرجوع بمعنى عاد إلى كان من البدء.^٣

أما من الناحية الاصطلاحية، وهي: ((الجهة المتولية بشؤون الأمة أو الطائفة

بإجماعها وبيدها الإدارة لتدبير أحوالها وأوضاعها الدينية))^٤

أما المرجع الديني: فهو المجتهد العادل الذي يرجع إليه الناس للفتوى لعبادتهم

ومعاملاتهم.^٥

وقد استحدث الشيعة مصطلح (المرجعية الدينية العليا) يطلق على من بلغ رتبة

الاجتهاد والأعلمية من الفقهاء^٦، أما المرجع الأعلى: فهو لقب يطلق المرجع الأعلى

على أكبر المجتهدين علما ومقلدين وخبرة، وهو حائز على إقرار المراجع والمجتهدين

الكبار الآخرين.^٧ واليوم يطلق هذا اللقب بكل جدارة على سماحة السيد

السيستاني(دام ظله) لكونه يمتلك المؤهلات والاستحقاقات كافة التي تجعله

يوصف به.

• أهمية المرجعية وضرورتها في الحفاظ على روح الإسلام:

تنبع أهمية المرجعية الدينية من كونها الامتداد الحقيقي اللازم للإمامة، التي تؤلف

بدورها الامتداد الطبيعي للنبوّة في أبعادها المختلفة، وخاصة في بعديها العقائدي

والسياسي، وقد رسم هذا الامتداد للمرجعية الطريقة التي تنتهجها وتسلكها

للتعامل مع جميع الظروف والأوضاع، بما فيها الأوضاع والظروف السياسية، وحسب

الشروط والخطوط التي وضعها أهل بيت عليهم السلام، فقد مرّ أهل البيت عليهم

السلام بمراحل وأدوار ذات ظروف وعوامل مختلفة، جعلتهم يتصرفون مع تلك

الظروف بما يتلاءم مع شروط كل مرحلة ودور.

لقد تحمل العلماء والمجتهدون ورواة الحديث أعباء المسؤولية في تأدية الوظائف التي كانت تقدمها المرجعية المعصومة للناس ، ولعل صيغة النواب الأربعة كانت تمهيدا للانتقال من قبول اراء المجتهد المعصوم إلى طاعة المجتهد غير المعصوم فقد كان القادة في البدء رواة الحديث ، إن المرجع الديني في المذهب الشيعي الإمامي يعد نائب الإمام المعصوم في زمان الغيبة الكبرى وهذا الكيان الديني الذي خلفه الإمام الغائب جاء بحسب حديث الإمام المهدي المنتظر،^٨ ((وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجة عليكم وأنا حجة الله عليكم))^٩. فأعطاهم هذا النص منزله من ترجح إليه الأمة في معرفة الحوادث والنوازل الجديدة وذلك يستبطن معرفتهم الدقيقة بالعلم وبذلك مارس المتصدون لتأدية مهام المرجعية الدينية هذه الوظائف بقدر الوسع الإنساني ، وكانت بغداد من ٣٢٩- ٤٤٧ مقرا لهذه المرجعية وقد مارست فيها مهام عدة منها:

١. إن الإسلام رسالة حياة وتنظيم خالد لكل شؤون المجتمع، وحينئذ فهناك مواقع في عملية التربية الكبرى لا يمكن تسليمها إلا لمرجع مجتهد بالشريعة عالم بخفاياها وروحها وتعاليمها حتى يملك كلمة الفصل من خلال ذلك، فالقيادة والقضاء مثلا لا تتمان من دون فقيه مجتهد متضلع في الشريعة.^{١٠}

٢. تولي مسؤولية تبليغ المعرفة الدينية إلى الأمة.

٣. إدارة حوار الاختلافات والجدل الكلامي والفقهي والمنهجي مع المدارس الإسلامية في بغداد.

٤. مواجهة السياسات التاريخية التي طبقت ضد المعرفة الشيعية.

٥. إن المرجعية الدينية - على الرغم من الظروف غير الجيدة - التي عاشتها إلا أنها أنجزت تراثاً علمياً ضخماً فلقد أحصى للشيخ المفيد قرابة (٢٠٠) كتاب ورسالة في الفقه والكلام والحديث، وأحصى للسيد المرتضى قرابة (٧٠) مصنفاً وقد انشغلت المرجعية في النجف بإعادة تصنيف التراث الشيعي (في مجال الفقه/ الحديث/ الكلام/ التفسير . . . الخ) كما هو الحال كله في انجازات الشيخ الطوسي والسماط التي تميز مؤلفاته كالدقة والاصالة والجمع المنظم.

٦. لقد تبنت المرجعية الدينية الاجتهادية منذ نشأتها من ٣٣٠هـ حتى الآن مقولة استمرار الاجتهاد - ولكن لم تعتمد هدفاً بلا آليات ووسائل محكمة بل مع ضبط محكم للأدوات والممارسة الاجتهادية، لذلك تستبعد المرجعية الشيعية اغلب الأصول التي تتعارض فيها الظنون المتقابلة والآراء ووجهات النظر التي تتمتع كلها بدرجة واحدة من المقبولية من جهة الدلالة كالقياس والاستحسان والمصالح المرسله، لذلك فان عملية الإفتاء الشرعي في الوسط الشيعي عملية منضبطة جداً، فلا تقبل الفتوى من غير المجتهد الجامع للشرائط، وبذلك لم تبرز ظاهرة فوضى الإفتاء في الوسط الشيعي في حين لاتزال هذه الفوضى ماثلة في الوسط الفقهي غير الشيعي.

٧. قرنت المرجعية الشيعية بالاجتهاد ((قضية التقليد)) الذي اعفي غير القادر أو من لم تتح ظروفه إن يتوصل إلى درجة الاجتهاد من الإلزام بالاجتهاد، وأجازت له العمل على وفق افتاء من يراه متمكناً من حملة درجة المجتهدين المعترف بهم، وبذلك شكلت ثنائية الاجتهاد والتقليد واحده من وسائل الضبط الاجتماعي والسياسي فضلاً عن الضبط المعرفي الديني وهنا نلاحظ الوظيفة المركبة من ((بقاء الاجتهاد مستمرا، والضبط في هذه امتلاك أدواته، وحصر الإفتاء بأهل العلم بعد تشخيصهم

أكاديميا)) بحيث تمنع هذه الوظيفة فوضى الإفتاء وتعدد الفتوى إلى حد التضاد إضافة إلى إلزام إتباعهم بالانقياد التام والطاعة الذاتية لمقررات المرجعية الشيعية.

٨. تركز المرجعية الدينية بإصرار شديد ومتابعة جادة على خصائص العفة والنزاهة والسلوك القويم وتجعل للبناء الروحي والأخلاقي مكانه مهمة، وتقرر إن صفة العدالة شرط في إمامة الصلاة وتقليد المقلد، وترصد أروقة المرجعية من بين روادها من يكون أكثر قدره على جهاد النفس وبناء الذات بناء عصيا على إمراض العصر وأهمها الفساد والنزوات البشرية السلبية، لذلك فإنها ترسم دائما برنامجا للتطهير الذاتي وبناء القيم النبيلة في السلوك الإنساني ويتدرج قادة الرأي الشيعي في مدارج الهيكل المرجعي بحسب امتلاكهم هذه الصفة وصنعة العلم والعمق في التحليل فيتدرجون مدارج الرقي حتى يبلغوا مرحلة الشيعاء بأنهم مؤهلون لكن يكونوا من قادة المجتمع الشيعي، فالقادة لا تختارهم الطبقة الحاكمة، ولا اختيار العامة ولا توصية سابقة ممن سبقهم إنما يتجلى الترشيح من التركيز فقط على المؤهلات الشخصية والعلمية والقيمية.

٩. تمارس المرجعية الدينية وظائفها في جو من الاستقلال التام عن الحكومات والمؤسسات والأحزاب والقوى الاجتماعية، وتصر إن يكون الجانب المالي في الحوزة حصرا من المتطوعين لذلك فإنها تأخذ قرارها مستقلة عن كل مؤسسات الضغط، ويكون موقفها الإفتائي والعملية مبنيا على مراقبة الله والخشية منه ومراعاة المصالح الحقيقية للمجتمع والأخذ بنظر الاعتبار متطلبات المستقبل بقدر الوسع، الا انها لا تزال بحاجة الى مزيد من الاستشرافات.

١٠. ومن وظائفها ممارسة النشاط السياسي والاجتماعي.^{١١}

١١. وللباحث أن يزيد على ما تقدم أن المرجعية الدينية تعد الجهة الوحيدة التي تحمل رؤية واضحة وارتباط وثيق ومعرفة عميقة وتدبر واع بالمصادر التشريعية، فضلا عن التدرج المعرفي في تحصيل رجالها والذي يضمن لهم عملية استنباط الأحكام الشرعية ورعاية شؤون الأمة.

مما تقدم يمكننا القول أن المرجعية الدينية في النجف الأشرف أعلى سلطة روحية دينية للشيعة في كل أنحاء للشيعة في كل أنحاء العالم، وهي ترتبط ارتباطا عقائديا بالمدىب الشيعي الإمامي.^{١٢} فهي الحافظة للإسلام وكيان المسلمين وتدافع عن حقوقهم وترعى مصالحهم وتدير المدارس الدينية ومراكز التعليم والثقافة، وتعد الفقهاء والنواب الحاصلين على أذونات شرعية، ومراجع التقليد، كما تنهض المرجعية الدينية بمهمة إعداد القادة الروحانيين القادرين على الوقوف دون انهيار المسلمين وخرابهم في العقيدة والفكر والحفاظة على هويتهم ودينهم والدفاع عنه أمام الحكومات والسلطات، وتقوم بمهمة تفضيه المسلمين وتوعيتهم بالدين.^{١٣}

إن هنالك حاجة ماسة جدا لسلطة عليا تقوم على إدارة شؤون المجتمع وتسيير أموره العامة؛ وذلك لتحقيق التناسق بين الاحتياجات الاجتماعية المتفاوتة، وأساليب إشباع هذه الاحتياجات، وتجميع القوى الفعالة وتوجيهها الوجه التي تؤهلها لخدمة المجتمع على النحو الأكمل، كما أن هذه السلطة ضرورية لإشاعة العدل بوجه الظلم والاعتداء على الآخرين وحقوقهم، وبالتالي يحتاج المجتمع إلى الموقف فيها رأيا موحدًا يمتلك القاطعية والواقعية، والقدرة على التنفيذ.^{١٤}

فإن السلطة التي تجمع بين الحافظنة على السلم الأهلي والعدل بين السكان هي الأمثل بطبيعة الحال؛ لأنه الغرض الأول لهذه السلطة السياسية، والتي تكون هي الواسطة في إيجاد الحكم الصالح.^{١٥}

المطلب الثاني: مرجعية السيد السيستاني (دام ظلّه):

• السيد السيستاني (دام ظلّه):

هو السيد علي بن السيد محمد باقر بن السيد علي بن السيد محمد ، ولد سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، ونشأ في أسرة علمية دينية ملتزمة، كانت من الأسر الحسينية العلوية التي تسكن مدينة أصفهان، بدأ في الخامسة من عمره بتعلم القرآن الكريم، ثم دخل (مدرسة دار التعليم الديني) لتعلم القراءة والكتابة ونحوها، فتخرج فيها متعلماً كذلك فن الخط. وفي عام ١٣٦٠هـ بدأ بتوجيه من والده بدراسة مقدمات العلوم الحوزوية، وفيها أتم كتب المقدمات ومنها كتاب (شرح الألفية) للسيوطي، و(المغني) و(المغني) لابن هشام و(المطول) للتفتازاني و(شرح اللمعة دمشقية) و(القوانين)، والسطوح العالية، ومنها كتاب (الرسائل) و(المكاسب) و(الكفاية) كما قرأ جملة من الكتب الفلسفية منها كتاب (شرح المنظومة) للسبزواري، و(شرح الإشراق)، و(الأسفار) و(شرح الإلهام)، كما حضر بحوث الخارج للمرحوم الميرزا مهدي الأشتياني، والمرحوم الميرزا هاشم القزويني (قدس سرهما) وذلك عام سنة (١٣٦٥هـ). ١٦.

وفي أواخر عام (١٣٦٨هـ) هاجر إلى قم المقدسة لإكمال دراسته، فحضر عند العلمين الشهرين السيد حسين الطباطبائي البروجردي في الفقه والأصول، والسيد محمد الحجة الكوهكمري في الفقه فقط.

وفي أوائل عام (١٣٧١هـ) الموافق عام (١٩٥٠م) هاجر من مدينة قم إلى النجف الأشرف، فوصل إلى مدينة كربلاء المقدسة في ذكرى أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، ثم نزل النجف الأشرف فسكن مدرسة البخارائي العلمية، وحضر فيها دروس

جملة من أعلامها، منهم: آيات الله العظام: السيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي والعلامة الشيخ حسين الحلي (قدس سرهم). ١٧.

وفي أواخر عام (١٣٨٠هـ) كتب له أستاذه آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، وأستاذه آية الله العظمى الشيخ حسين الحلي (قدس سرهما) شهادتين ببلوغ درجة الاجتهاد، كما كتب شيخ محدثي الشيعة الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة شهادة أخرى يطري فيها مهارته في علمي الحديث والرجال. وفي أوائل عام (١٣٨١هـ) بدأ بإلقاء محاضراته في (الدرس الخارج) في الفقه في ضوء كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري، وأعقبه بـ(شرح العروة الوثقى)، فأتم عدة أبواب فقهية منه.

أما في علم الأصول فقد بدأ بإلقاء محاضراته في عام (١٣٨٤هـ) وأكمل دورته الثالثة في عام (١٤١١هـ)، وقد سجلت محاضراته جميعها من عام (١٣٩٧هـ).

وقد آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره)، وكانت الزعامة مقسومة بينه وبين السيد عبد الأعلى السبزواري (قدس سره)، وبعد سنة واحدة فقط توفي السيد السبزواري (قدس سره)، فأصبح السيد السيستاني المرجع الأعلى في العراق عام (١٩٩٣م). ١٨.

إن شخصية السيد السيستاني (دام ظله) وتوجهاته تشبه إلى حد ما شخصية أستاذه السيد الخوئي (قدس سره) وتوجهاته العلمية إذ يمكن القول إن مرجعية السيد السيستاني (دام ظله) هي الامتداد المماثل لمرجعية السيد الخوئي. ١٩. أما مؤلفاته فقد بلغت (٤٤) مؤلفاً. ٢٠.

سماته وخصائصه الشخصية والعلمية:

اتسم سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) بجملة خصال كوّنّت معالم شخصيته التي استطاعت أن تنفذ إلى قلوب الملايين، بعد أن عالجت بخلقها الرفيع وأدبها الرباني العديد من المشاكل التي واجهت الأمة، وتجاوزت العديد من صراعاتها الراهنة، ومن أهمّ سامتة الشخصية:

١. الانصاف واحترام الراي الآخر.

٢. الأدب في الحوار.

٣. الخلق التربوي.

٤. الورع والتقوى.

٥. النتاج الفكري.

٦. الربط بين الفكر الحوزوي والثقافات المعاصرة.

٧. الإبداع والتجديد.

٨. إمامه بمقتضيات عصره.

٩. النظرة الاجتماعية للنص.

١٠. المقارنة بين المدارس الفكرية والفقهية المختلفة.^{٢١}

فضلا عن ذلك فقد عرف سماحة السيد السيستاني برجاحة عقله، ولديه اهتمام كبير واطلاع واسع على الفلسفة والآراء والنظريات المعاصرة، فهو يعرف الشيوعية والرأسمالية بدقائقها، وكذلك يعرف الوجودية بدقائقها، وكما أن لديه ولعا خاصا بالحكمة والفلسفة، فقد درسهما دراسة مجدية حتى عند أحد الأركان لعلم الفلسفة في القرن العشرين، كذلك عرف سماحته بنفاذ البصيرة، وخاصة فيما

يتصل بالشأن السياسي، وحظي باحترام جميع الأطراف حتى سلطات الاحتلال الأمريكية، ومجلس الحكم الانتقالي، رغم تضارب مصالحهم؛ ما جعل سلطات الاحتلال والأمم المتحدة تأخذ بملاحظاته، وتتجنب إثارة حفيظته، فقد تراجعت عن بعض خططها بعد إصدار سماحته لفتاوى ضد القرارات المتخذة من قبل هذه السلطات.

وتعد مرجعيته اليوم مرجعية شاملة من حيث كثرة مقلديه فيما يضطلع بأعبائها على شتى الصعد الاجتماعية، من حيث إدارة الحوزة النجفية من إنفاق ومشاريع وغيره. ٢٢

إن المتتبع للواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم بنحو عام؛ والشيعنة بنحو خاص، يدرك تماما أن مرجعية السيد السيستاني تقوم بالعديد من الوظائف والواجبات مما جعلها تحمل أمانة الرسالة المحمدية بكل جدارة، وتمارس الأدوار والمواقف والمراحل ضد حركة الانحراف والتدهور مثلما مارسها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فضلا عن ذلك فقد راعى السيد السيستاني الحكومات المتعاقبة على السلطة من يوم سقوط النظام البائد في العراق ولحد وقتنا الحاضر بالتوجيه والنصيحة والإرشاد، والملاحظات القيّمة التي تصب في مصلحة الأمة والوطن، وبما ينفع المسار السياسي في هذه اللحظات السياسية الحاسمة التي تمرّ على البلاد، بما فيها من مأس وأحزان، وخاصة فيما يتعلق بتردي الوضع الأمني، فقد كان وما زال بحق صمام الأمان في عدم انجرار البلاد إلى حرب طائفية مؤلمة تحرق الأخضر واليابس، رغم الاعتداءات الصارخة التي انصبت على العراقيين وباستمرار من التكفيريين والظلاميين أتباع أزملا صدام، وترويع الأهالي على اختلاف الصعد، من قتل وذبح وسلب ونهب، وتهجير بالقسر، وتدمير للمساجد، ومرآد الأئمة والعلماء والصالحين والأولياء، بما يندى له

الجيين، وكان من الممكن أن يرد على هذه الأفعال الظالمة بما يعادلها أو أكثر، لولا إصرار مراجعنا العظام وخصوصا سماحة السيد السيستاني.

ومما ينبغي ذكره أنه نجح بهذه السياسة الحكيمة؛ إذ أفلتت مخططات المنحرفين الذين يعملون في الليل والنهار على إثارة النعرات الهدامة، والتكفير الظالم، والمروق عن الأخلاق الحميدة. ٢٣

المطلب الثالث: تجليات الحكمة القيادية عند السيد السيستاني (دام ظلّه)

تعد شخصية السيد السيستاني (دام ظلّه) من الشخصيات القلائل التي كونت مفصلاً يستدعي التوقف عنده والبحث في طبيعته ومكونات هذا العالم الذي يتمتع بخصائص روحية ومثالية عالية، طالما حث عليها أهل البيت (عليهم السلام) حتى جعلت منه عالماً ربانياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فكان رجل العلم والتقوى؛ والحكمة والدراية؛ رجل المواقف الصعبة والثابتة على الحقن رجل الاعتدال في زمن التعصب وإثارة الفتن، رجل الإسلام قلوباً وقالبا، مرّ بمختلف المواقف الحرجة فكان السيد الكبير والعالم الصبور النحرير، والورع المحتسب، والزاهد التقى والمحترم لآراء الآخرين، عشق العلم والمعرفة فقدس حرية الرأي والكلمة البناءة الهادفة إلى إظهار الحقيقة وجلاء الشبهات. ٢٤

أن الوقوف على أعتاب هذه الرموز الكبار والقامات الشامخة من أمثال سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) لا يمكن لمثل هذا البحث الموجز أن يحيط بمواقفه الخالدة، وآرائه السديدة، وقراراته السديدة، ومنجزاته العديدة، لذا سنكتفي بذكر بعض المواقف التاريخية لهذه الشخصية العظيمة، ومراعاة للاختصار سنكتفي بذكر أربعة مواقف تاريخية لسماحة السيد السيستاني (دام ظلّه)، جرت عقب أحداث عصبية كادت تعصف بالأمة الإسلامية عموماً، والشعب العراقي بنحو خاص، وهي:

١. المطالبة بكتابة الدستور العراقي وإجراء لانتخابات بعد تغيير النظام في بعد عام ٢٠٠٣م.

يعد السيد السيستاني(دام ظلّه) من المراجع المعتدلين والواقعيين الذين يكيّفون المواقف الدينيّة مع الوقائع السياسيّة على الأرض، فهو لم يتعامل مع قوات الاحتلال ورفض لقاء الحاكم المدني في العراق (بول بريمر) على الرغم من إلحاح الأخير وتوسيط عدد كبير من السياسيين العراقيين كان آخرهم مسعود البرزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني. والوقت نفسه لم يدع إلى مقاومة قوات الاحتلال بالعنف. وإنما اكتفى بموقف سياسي لا يضعف العملية السياسيّة التي جرت في العراق بتشكيل مجلس الحكم في ٢٠٠٣/٧/١٣م، ولكي يتناغم مع الشعار الأمريكي في العراق لإقامة الديمقراطية في العراق، وقد كان على رأس الأهداف التي يروم سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) تحقيقها هو كتابة دستور عراقي بأيدٍ عراقية، ورفض رفضاً قاطعاً قبول دستور مستورد من الخارج يحمل أفكار صهيونية استعمارية يهودية بصبغة إسلامية بحجة عدم إمكانية كتابة دستور بأيدٍ عراقية لأن البلد يعيش حالة من الفوضى ولا يمكن حصر أفراد الذين يعول عليهم للمشاركة في الانتخابات. ٢٥

في ظل هذه الأجواء بادر سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) بحله الفريد الفذ وبخطوته الجريئة التي راهن العديد على فشلها لصعوبة تطبيقها في تلك الظروف العصيبة، وأصر سماحته على ضرورة إجراء الانتخابات، ولما سئل عن آلية حصر أعداد أبناء الشعب العراقي، فأجاب بأن هناك سيلاً ناجحاً لذلك وهو اعتماد البطاقة التموينية التي كانت قبل ذلك معتمدة من لدن الأمم المتحدة في برنامج النفط مقابل

الغذاء، وبذلك تكون هذه الإحصائية جاهزة ودقيقة ومعترف بها عالميا ولا يمكن ردها، وبالفعل تم قبولها من الأطراف جميعا داخليا وخارجيا.

وفعلا أجريت الانتخابات وكتب الدستور بأيدٍ عراقية، وإن كان ما حصل لا يلي مستوى الطموح، ولكنه أهون وأفضل بكثير مما أريد له.

والسيد السيستاني(دام ظلّه) دعا لكتابة الدستور بطريقة تتناغم مع سياسة الطرف الآخر(المحتل الأمريكي) وهي الطريقة الديمقراطية التي تتيح للشعب اتخاذ قراراته بنفسه وبحريته، فلذ طالب بكتابة الدستور بأيدٍ عراقية كما كتب الصلح بيد الإمام(عليه السلام)، وبذلك تمكن السيد السيستاني(دام ظلّه) من تحقيق مطلبه بكشف السياسة الأمريكية المخادعة من جهة، وكتابة البنود التي تتناسب والتشريع الإسلامي –بالقدر المتيقن – من جهة أخرى.

والجدير بالذكر أن سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) كان يعمل بقوتين القوة الأولى ما يمتلكه من خبرة ومعرفة ودراية منبثقة من استيعابه للموروث الكبير من القرآن الكريم وسيرة الرسول ص وأهل بيته المعصومين، ورواياتهم الشريفة، فضلا عن ثقافته الواسعة، واطلاعه الفياض، والقوة الثانية هي التسديد الإلهي الواضح والمتجلي في دقة قراراته، وحكمتها وخطورتها ونجاحها.

٢. إصداره لفتوى الجهاد الكفائي بعد أحداث سقوط الموصل في سنة ٢٠١٤م.

قد لا نبالغ إذا قلنا أنه لم يكن أحد في العالم يتوقع أن سماحة السيد السيستاني(دام ظلّه) هو الذي يبادر بإصدار فتوى يدعو فيها الناس إلى الجهاد الكفائي، إذ يعد سماحته من أكثر القادة والمراجع الذين يدعون إلى السلم وحقق الدماء، والابتعاد عن المواجهة التي تستتبع إراقة الدماء، ولكنه كعادته فاجأ الجميع، المخافين قبل

المؤلفين، والأعداء قبل الأصدقاء، وقد توافرت في هذا القرار ما توافرت في غيره من القرارات المصيرية للسيد السيستاني (دام ظلّه)، وهي اتصافها بالخصائص الآتية:

- عنصر المفاجئة.
- كونه الحل الناجع لمشكلة عصبية تهدد أمن البلاد والعباد.
- كونه الحل الأمثل للحفاظ على وحدة المسلمين وغيرهم.
- الاستجابة الكبيرة والعظيمة من الجميع على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ودياناتهم.
- تعزيز ثقة الأمة بحكمة قيادتها، وجدارتها بحمل المسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقها.

لقد كان الواقع الذي يعيشه العراق قبل صدور فتوى الجهاد من المرجعية الدينية العليا ينبئ بحدوث كارثة إنسانية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية، فقد اجتاحت جماعة همجية باسم الإسلام وقد سيطرت على بعض أجزاء العراق وكانت تعد العدة لاجتاحت باقي أجزائه، فبادر سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) بإصدار فتاواه التي سيبقى التاريخ ينحني لها إجلالا وإكبارا لما حققته من نصر وعزة وشموخ لا للمسلمين فحسب بل لكل أبناء الشعب العراقي بأطيافه ودياناته المتنوعة،

أما مجتمعنا العراقي المعاصر فقد أبلى بلاءا حسنا وكان بقمة الوعي والمسؤولية حينما زحف بكل أطيافه ومناطقه وفئاته العمرية هبة رجل واحد ذي عقيدة صلبة وإيمان راسخ مستجيبة لفتوى قيادتها الحكيمة ومرجعيتها الرشيدة، المتمثلة بزعيمها سماحة السيد علي السيستاني (دام ظلّه) مما جعل العدو المعتدي الغاشم يتقهقر أمام خطواته، ويجعل الأرض تتزلزل تحت أقدامهم، حتى حققوا

الانتصارات تلو الانتصارات، وهم الآن مستمرين بتقدمهم وصمودهم مادامت وراعتهم قيادة حكيمة توجههم، وعقيدة راسخة تثبتهم وإرادة صلبة تتقدمهم.

والجدير بالذكر أن ما ذكرناه في النقطة الأولى حاضر هنا، وهو يحضري قرار من قرارات سماحة السيد السيستاني (دام ظله)، تسندها ركيزتان أساسيتان، الأولى علمه ومعرفته ودرايته بالأمور، والثاني التسديد والتوفيق الإلهي الذي لا يخفى على ذي لب في إصدار فتوى الجهاد من جوانب عدة، منها:

- توقيت الفتوى، فلو أصدرت بعد يوم واحد لكان العدو قد دمر البلاد وقتل العباد.
- الاستجابة الكبيرة التي لاقتها الفتوى من لدن الجميع وتفاعلهم معها.
- إصابتها الواقع كونها البديل الوحيد المناسب الذي كان حلاً ناجحاً للمعضل الذي وقع في المجتمع العراقي.

• وغيرها مما خفي علينا من الأسرار الخفية التي يظهرها لنا المستقبل.

وفي الختام نقول أن البحث وقف على نماذج محددة مراعاة للاختصار وبما يتناسب مع طبيعة حجم البحوث، ولأننا أردنا أن نبين فكرة رأيها ترتبط بالسياسة البناء التي انتهجها أهل البيت (عليهم السلام)، وقد أفاد منها علماءنا الإعلام بوصفهم ورثتهم بالعلم والفكر والموقف والعقيدة، فهم ينهلون من منبع عذب فرات رسمه لهم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا قال موصياً أمته: ((إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^{٢٦}

ونرجو أن نكون قد وفقنا في إيصال فكرة بحثنا، والله تعالى هو المستعان وعليه التكلان، والحمد لله رب الأكوان، والصلاة والسلام على أفضل إنسان، محمد وآله أئمة الإنس والجان.

بعد هذه الجولة العلمية الممتعة التي قضيتها في رحاب الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) ومواقفه التاريخية الملهمة، ومع سماحة السيد السيستاني (دام ظله) وقراراته السديدة والمصيرية، يمكن أن أثبت أهم النتائج التي استخلصتها من البحث فيما يأتي:

١. أن السيرة العطرة للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت الطاهرين (عليهم السلام) هي سيرة معطاء زخارة بالدروس والعبر التي ينبغي لكل قائد من الاطلاع عليها ودراستها دراسة تحليلية واعية، للاستفادة من مضامينها، والسير بهديها.

٢. أن المواقف المشرقة والمشرقة التي بدت في سياسة سماحة السيد السيستاني (دام ظله) هي امتداد حقيقي لنهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام).

٣. أن المواقف المشرقة والمشرقة لسماحة السيد السيستاني (دام ظله) تعد دليلاً على صواب فكر أهل البيت (عليهم السلام) ونجاح سياستهم.

٤. أن القيادة مهما كانت واعية وحكيمة فهي لا تكفي لوحدها في إنجاح المشروع الإلهي من دون وجود قاعدة شعبية تستجيب لقيادتها، وتمثل لأوامرها وتؤمن بتوجيهاتها، وما جرى مع مجتمع الإمام الحسن (عليه السلام) بعدم استجابتهم لإمامهم خير على ذلك، كذلك ما جرى مع مجتمعنا المعاصر باستجابته للسيد السيستاني (دام ظله)، مما يدعونا إلى ضرورة التمسك بهذه القيادة الربانية المستمدة من فكر أهل البيت (عليهم السلام).

٥. أن العدوان الغاشم يكون ضعيفا مادامت الأمة ملتفتة حول قيادتها، مؤمنة بحكمتها وصواب رأيها، وأنه يكون قويا ما دامت الأمة متخاذلة متراجعة متعاسة خانعة.

الهوامش:

^١ كربلاء الثورة والمأساة، أحمد حسين يعقوب، ط ١، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ١٩٩٧، ص ١١٤.

^٢ نهج البلاغة، خطب الإمام علي(عليه السلام)، ج ٣، جمعه السيد الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، ط ١، مطبعة النهضة، إيران - قم المقدسة، ١٤١٢ هـ ص ٨٤.

^٣ مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ١، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦ م، ص ٣٤٢.

^٤ باب مدينة علم الفقه، علي محمد رضا كاشف الغطاء، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٥ م، ص ٣٥٨.

^٥ الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقي الحكيم، ط ١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٣ م، ص ٥٦٣. فقه الإمام الصادق، محمد جواد مغنية، ج ٦، دار القلم، بيروت - لبنان، ١٩٧٥ م، ص ٣٧٩.

^٦ ينظر، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية (دراسة في التطور السياسي والعلماء)، د.جودت القزويني، ص ٨.

^٧ ينظر: الإسلام الشيعي والدولة، محمد رضا جليلي، ترجمة: د.علي الخطيب، ط ١، دار المحجة البيضاء، لبنان - بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٣٣.

^٨ المرجعية الدينية في النجف الأشرف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨ - ١٩٦٨ (تاريخ سياسي)، د.حيدر نزار السيد سلمان، ط ١، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، ٢٠١٠ م، ص ١٨.

^٩ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، الحر العاملي، تصحيح محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت بلا تاريخ، ص ٣١٢.

^{١٠} حول الشيعة والمرجعية في الوقت الحاضر، الشيخ محمد علي التسخيري، ص ٨٦.

^{١١} ينظر، مقالة بعنوان (المرجعية الدينية في النجف الأشرف)، للأستاذ الدكتور عبد الأمير زاهد، بتاريخ ٢٠١٢/٤/٨ م

- ١٢ التفتيح في شرح العروة الوثقى (التقليد)، علي الغروي، ط ١، مؤسسة تراث الإمام الخوئي، إيران، ١٤١٣هـ، ص ١٦.
- ١٣ المصدر نفسه، ص ١٧.
- ١٤ ينظر: المرجعية والقيادة، السيد كاظم الحائري، ص ٣١.
- ١٥ ينظر: رجل السياسة دليل الحكم الصالح، توفيق السيف، ص ٢٥.
- ١٦ الإمام السيستاني أمة في رجل، حسين محمد علي الفاضلي، ط ١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص ٧٣.
- ١٧ المصدر نفسه، ص ٧٤ - ٧٥.
- ١٨ ينظر: موسوعة الأحزاب العراقية حسن لطيف الزبيدي، ص ٤١٨.
- ١٩ المرجعية الدينية في النجف الأشرف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨-١٩٦٨ (تاريخ سياسي)، د. حيدر نزار السيد سلمان، ط ١، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ٢٠١٠م، ص ١٩.
- ٢٠ ينظر، الإمام السيستاني أمة في رجل، ص ٨٦ - ٨٧.
- ٢١ ينظر، المصدر السابق، ص ٧٥ - ٧٦.
- ٢٢ ينظر: لا وصاية على السيستاني، محمد حسين الصغير، بحث منشور في كتاب أمة في رجل، ص ٤٢٩.
- ٢٣ ينظر، دور المرجعية الدينية في إصلاح الواقع العراقي السيد السيستاني أنموذجا، د. أحمد علي عبود الخفاجي، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد السابع عشر، السنة الخامسة، (٢٠١٧م)، ص ٣٠٣.
- ٢٤ المصدر نفسه، ص ٩.
- ٢٥ النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) في المسألة العراقية، إعداد: حامد الخفاف، ط ٥، دار المؤرخ العربي، لبنان-بيروت، ٢٠١٤. ص ٣٧ - ٥١.
- ٢٦ الانتصار، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، إيران-قم المقدسة، ١٤١٥هـ، ص ٨٠.

المصادر:

• القرآن الكريم.

١. الإسلام الشيعي والدولة، محمد رضا جليلي، ترجمة: د.علي الخطيب، ط ١، دار المحجة البيضاء، لبنان - بيروت، ١٩٩٧م.
٢. الأصول العامة للفقهاء المقارن، محمد تقي الحكيم، ط ١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٣م
٣. الإمام السيستاني أمة في رجل، حسين محمد علي الفاضلي، ط ١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
٤. الانتصار، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي البغدادي (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم المقدسة، ١٤١٥هـ.
٥. باب مدينة علم الفقه، علي محمد رضا كاشف الغطاء، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٥م.
٦. التفتيح في شرح العروة الوثقى (التقليد)، علي الغروي، ط ١، مؤسسة تراث الإمام الخوئي، إيران، ١٤١٣هـ.
٧. حول الشيعة والمرجعية في الوقت الحاضر، الشيخ محمد علي التسخيري، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ط ٢، إيران - قم، ١٤٢٧هـ.
٨. دور المرجعية الدينية في إصلاح الواقع العراقي السيد السيستاني أنموذجا، د.أحمد علي عبود الخفاجي، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد السابع عشر، السنة الخامسة، (٢٠١٧م)

٩. رجل السياسة دليل الحكم الصالح، توفيق السيف، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان-بيروت، ٢٠١١م.
١٠. فقه الإمام الصادق، محمد جواد مغنيتة، ج٦، دار القلم، بيروت-لبنان، ١٩٧٥م.
١١. كربلاء الثورة والمأساة، أحمد حسين يعقوب، ط١، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، ١٩٩٧م.
١٢. لا وصاية على السيستاني، بحث منشور في كتاب أمة في رجل، محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ للطباعة، لبنان-بيروت، ٢٠١١م.
١٣. المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية (دراسة في التطور السياسي والعلماء)، د.جودت القزويني، ط١، دار الرافدين للطباعة والنشر، لبنان-بيروت، ٢٠٠٥م.
١٤. المرجعية الدينية في النجف الأشرف، للأستاذ الدكتور عبد الأمير زاهد، مقالة منقولة من عبر موقع <http://www.alnoor.se/article.asp> بتاريخ ٢٠١٢/٤/٨م.
١٥. المرجعية الدينية في النجف الأشرف ومواقفها السياسية في العراق من ١٩٥٨-١٩٦٨ (تاريخ سياسي)، د.حيدر نزار السيد سلمان، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ٢٠١٠م.
١٦. المرجعية والقيادة، السيد كاظم الحائري، مكتبة الكلمة الطيبة، العراق-بغداد، ط٢، ٢٠١٢م.
١٧. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

١٨. موسوعة الأحزاب العراقية، د. حسن لطيف الزبيدي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، لبنان - بيروت، ٢٠٠٧م.
١٩. النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) في المسألة العراقية، إعداد: حامد الخفاف، ط ٥، دار المؤرخ العربي، لبنان - بيروت، ٢٠١٤.
٢٠. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)، ج ٣، جمعه السيد الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، ط ١، مطبعة النهضة، إيران - قم المقدسة، ١٤١٢ هـ.
٢١. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، الحر العاملي، تصحيح محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.